حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ وَالْوَسِيط

٩

الجمعية المصرية للدراسات التاريخية
رئيس مجلس الإدارة
أ.د. أيمن فؤاد سيد

الهيئة المصرية العامة للكتاب
رئيس مجلس الإدارة
د. هيثم الحاج علي

حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ وَالْوَسِيط

مجلة سنوية محكمة تعنى بالتاريخ الإسلامي والوسيط
يصدرها سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط
بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية

كل الحقوق محفوظة
للهيئة المصرية العامة للكتاب

الترقيم المطبوع
2735-3923

رقم الإيداع بدار الكتب
2013/18750

الترقيم الإلكتروني
2735-4725

موقع المجلة على بنك المعرفة:
hsew.journals.ekb.eg

٢٠٢١م

قطعة ٤ بلوك ٧ – المنطقة التاسعة – شارع د. رؤوف عباس- مدينة نصر – القاهرة
تليفون: ٠١١٢٧٣٨١٩١٢ – ٢٧٤٢٨٢٩١ – ٢٧٤٢٨٢٩٦ – فاكس ٢٤٧٢٨٢٩٨

Email: Seehist1945@yahoo.com

الهيئة المصرية العامة للكتاب

حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ
التَّاريخِ الإسلاميَّ والوسيط

مَجلة عِلميَّة مُحَكَّمة

تُصْدرها

الجمعية المصرية للدِّراسات التاريخية

المراسلات : الأستاذ الدكتور أيمن فؤاد سيد

رئيس مجلس إدارة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

eegyptian.historical2021@gmail.com

العدد التاسع

القاهرة

١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

رئيس مجلس الإدارة أ.د. أيمن فؤاد سيد

هيئة التحرير

رئيس التحرير: أ.د. حسين سيد عبدالله مراد

مديـر التحرير: د. محمد فوزي رحيل

أ.د. صلاح الدين علي عاشور

أ.د. عبير زكـريا سليـمان

أ.د. نهلـة أنيس مصطفى

د. عبدالناصر إبراهيم عبدالحكم

الهيئة الاستشارية الدولية

أ.د. إبراهيم عبدالمنعم سلامة (مصر)

أ.د. اسحق تاوضروس عبيد (مصر)

أ.د. حاتم عبدالرحمن الطحاوي (مصر)

أ.د. عبدالقادر بوباية (الجزائر)

أ.د. عبدالله بن سعيد الغامدي(السعودية)

أ.د. عبدالهادي ناصر العجمي (الكويت)

أ.د. عفاف سيد صبرة (مصر)

أ.د. فتحي عبدالفتاح أبو سيف (مصر)

ا.د. قاسم حسن السامرائي (العراق)

ا.د. لطفي بن ميلاد (تونس)

أ.د. محمد أحمد بديوي (مصر)

أ.د. محمد عيسي الحريري (مصر)

أ.د. محمد الناصر صديقي (تونس)

Prof. Dr. Albrecht Fuess (Germany)

Prof. Dr. Sylvie Denoix (France)

Prof. Dr. Tetsuya Ohtoshi (Japan)

المحرر الفني أ. ياسر السيد عبدالعزيز

الآراء الواردة بهذه المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الجمعية أو السمنار أو الناشر

شروط النشر بالحولية

- ترحب الحولية بنشر البحوث العلمية المبتكرة في التاريخ الإسلامي والوسيط باللغتين العربية والإنجليزية.
- يفضل أن يكون البحث في حدود ٣٥ صفحة، بما في ذلك الحواشي اللازمة والملاحق وقائمة المصادر والمراجع.
- ترسل البحوث على موقع الحولية على بنك المعرفة ولن يلتفت إلى الأبحاث التي ترسل عن طريق آخر.
- يرفق الباحث مع البحث سيرة علمية مختصرة (CV)، وملخصًا للبحث باللغة العربية ولغة أجنبية في حدود (١٥٠) كلمة لكل منهما والكلمات المفتاحية.
- يقدم الباحث إقرارًا كتابيًّا بأن البحث لم يسبق نشره في أي مجلة علمية أو غيرها، وعدم الدفع به إلى النشر في جهات أخرى بعد موافقة الحولية على نشره.
- تقدم الخرائط والأشكال والرسوم البيانية بأصولها الصالحة للطباعة، وفي حال رغبة الباحث نشرها ملونة يلتزم بدفع تكاليفها.
- تتمتع الحولية بحق الملكية الفكرية للبحوث التي تنشرها، ويمكن للباحث إعادة نشر بحثه في جهة أخرى بعد مرور خمس سنوات على النشر بالحولية، وبموجب أذن كتابي من رئيس تحرير الحولية.

- لا تقبل الحولية البحوث التي سبق نشرها في أي مجلة علمية أو غيرها.
- توضع الهوامش مرتبة بطريقة متسلسلة في أسفل البحث.
- تخضع البحوث قبل النشر للتحكيم العلمي على نحو سري (معمي).
- يتم تقويم البحث وفقًا للعناصر التالية:
  - أن يكون البحث مبتكرًا، ومضمونه متكامل علميًّا.
  - وضوح المنهج، وملائمته لموضوع البحث.
  - رعاية الإخراج العلمي وتوزيع عناصر البحث.
  - سلامة اللغة ووضوح الصياغات والعبارات.
  - كفاءة المراجع وصحة التوثيق، وسلامة الهوامش، ودقة استخدام المصادر والمراجع.
- البحوث التي يقترح المحكمون إجراء تعديلات عليها تعاد إلى أصحابها لإجرائها، حتى وإن كانت طفيفة، وفي حال ما إذا رأت الحولية عدم نشر البحث، تخطر صاحبه بالاعتذار عن عدم النشر مع بيان الأسباب.

مُقَدِّمَة

يسعد أسرة تحرير حولية سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية، أن تقدم للمتخصصين فى الدراسات التاريخية وكافة القراء العدد التاسع من الحولية؛ والذي يصدر في جزئين، وقد شارك فى إعداده مجموعة من المؤرخين والباحثين على اختلاف أجيالهم من المتخصصين فى التاريخ الإسلامى والوسيط .

وكما تفتح الحولية صفحاتها لبحوث الأساتذة، فإنها تفتح صفحاتها أيضًا لشباب الباحثين المستوفين للشروط العلمية للنشر .

ويتضمن هذا العدد والذى يصدر فى مجلدين اثنى عشر بحثًا، عالجت موضوعات شتى فى التاريخ الإسلامى والوسيط منها خمسة أبحاث فى التاريخ الوسيط فى العصر البيزنطى.

وسبقه بحوث فى التاريخ الإسلامى؛ منها ثلاثة فى المشرق الإسلامى، ومثلها فى المغرب الإسلامى، والبحث السابع عالج موضوعًا مهمًّا فى التاريخ الإسلامى لأفريقيا جنوب الصحراء والتى تسمى السودان الغربي وتشمل غرب أفريقيا حاليًّا .

وتأمل هيئة تحرير الحولية بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية أن يحوز هذين المجلدين مع العدد التاسع على قبول المهتمين بالدراسات التاريخية . ونشكر كل الزملاء الذين شاركوا ببحوث جادة فى هذا العدد.

ونأمل أيضًا أن يوافينا الباحثون بأبحاثهم الجادة للنشر فى الأعداد القادمة للحولية حتى تستمر فى أداء رسالتها فى خدمة البحث العلمي والدراسات التاريخية.

واللهُ ثم الوطن العزيز من وراء القصد،،،

المشرف على السيمنار

ورئيس التحرير

أ.د. حسين سيد عبد الله مراد

مقرر السيمنار

ومدير التحرير

د. محمد فوزى رحيل

المحتويات

العدد التاسع - الجزء الأول

١- المقاومة الشعبية في القسطنطينية ضد الهون عـــام ٥٥٨- ٥٥٩م ١١-٧٢
أ.د. وديع فتحى عبد الله

٢- الوسيط الديني «الرهبان» بين حاجة المجتمع وتطلعات السلطة الإمبراطورية خلال العصر البيزنطي الباكر ..... ٧٣ - ١٥٦
د. مصطفى محمود محمد محمد

٣- الأميرة الكارولنجية دودا Dhuoda (٨٠٣-٨٤٤م.) دوقة سبتمانيا Septimania، من خلال مصنفها: "الكُتيب "*Liber Manualis* ..... ١٥٧ - ٢٠٠
د. عمر عبد المنعم إمام إبراهيم

٤- غارات النورمان على وادى نهر السين والسوم خلال حكم الملك شارل الأصلع (٨٥٦-٨٦٦م) ..... ٢٠١ - ٢٥٠
د. جمال فاروق الوكيل

٥- شيطان الإناث غيللو من منظور المعتقدات الشعبية في الإمبراطورية البيزنطية ..... ٢٥١ - ٢٩٨
د. محمد عبدالشافى محمد محمود المغربى

٦- المؤرخ محمد بن أحمد النسوي (ت: ٦٤٧هـ/١٢٤٩م) ورسالته: نفثة المصدور في فتور زمان الصدور وزمان صدور الفتور ..... ٢٩٩ - ٤١٢
د. وائل أحمد إبراهيم طوبار

٧- الأسرة فى السودان الغربى عصر مملكتى مالى وصنغى (٦٣٦- ١٠٠٠هـ/١٢٣٦- ١٥٩١م) ..... ٤١٣ - ٤٦٤
د. إبراهيم رجب محمود عبدالمجيد

المحتويات

العدد التاسع - الجزء الثاني

٨- المخزن في معيار الونشريسي ٤٦٥-٤٨٠

أ.د. ناريمان عبد الكريم أحمد

٩- **التعليم فى عصرى الرستميين والأغالبة «دراسة مقارنة» (١٦٠-٢٩٦هـ /٧٧٧-٩٠٨م)** ..... ٤٨١ - ٥٢٨

د. محمد على محمد عبدالرحمن

١٠- أسواق سجستان وحواضرها في العصر الصفاري (٢٥٣-٢٩٨هـ/ ٨٦٧-٩١٠م) ..... ٥٢٩ - ٦٢٤

د. محمد زين العابدين محمد مريكب

١١- **المقابر الإسلامية ومجتمع إفريقية (من ق٢هـ/٨م إلى ق٥هـ/١١م)** ..... ٦٢٥ - ٧٨٢

د. كريمة عبدالرؤوف محمد رحيم الدومى

١٢- **حرفة الخياطة في العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٥٠-١٢٥٨م)** ..... ٧٨٣ - ٨٢٠

د. عبد الحميد جمال الفراني

حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ وَالْوَسِيط ٩ (٢٠٢١) جـ١، ١١ - ٧٢

المقاومة الشعبية في القسطنطينية ضد الهون عام ٥٥٨- ٥٥٩ م

أ.د. وديع فتحي عبد الله [١]

الملخص:

تعددت مشاركات سكان القسطنطينية في الدفاع عن مدينتهم ضد الأخطار، وكان من أهمها ؛ دفاعهم عن مدينتهم، ضد هجوم الهون عام ٥٥٨- ٥٥٩م ، وقد فرضت أحوال الإمبراطورية التى كانت منهكة وقتها، على جستنيان، أن يدبر القوات اللازمة للدفاع عن مدينته وحماية أسوارها ، وإذا كانت الظروف التى فرضت على جستنيان هذا الموقف ، فقد شهدت البلاد ملحمة، حيث شارك العديد من العناصر بعضها عسكرية ، والآخر شعبية، في صد هذا الهجوم ،فهناك مجموعة صغيرة من الفرسان لم يتجاوز عددها ٣٠٠ فارس، وهناك بعض الرجال من مختلف فرق الحرس الإمبراطوري كانت مهمتهم الدفاع عن أبواب والأحياء، ومجموعة أخرى للدفاع عن الأسوار وأبراج العاصمة. والحقيقة أن السمة الغالبة على هذه

---

(١) أستاذ تاريخ العصور الوسطى، كلية الآداب – جامعة بنها.

القوات أن غالبيتها كانت إما قوات غير مقاتلة، أو قوات غير نظامية، ولذلك نجد أن من بين من شارك في الدفاع عن المدينة ضد خطر الهون مجموعات من الفلاحين، و من رجال الحرس المدني، و من الفرسان المتطوعين، و أيضا من رجال مجلس السناتو، علاوة على مجموعات من القادة الذين أحيلوا إلى التقاعد بحكم السن. وقد رسم لكل مجموعة دورها في منظومة دفاعية غلب عليها حماسة المقاومة لحماية الدولة ،وعاصمتهم ، كذلك شارك أعضاء الفرق الرياضية الأربعة في بيزنطة سواء من اللاعبين أو المشجعين في هذه المقاومة سواء من خلال تبرعاتهم المالية لصيانة الأسوار وسد الثغرات الموجودة فيها،أو من خلال قيامهم بأعمال حراسة الأسوار ،وشارك أيضا رجال السناتو ،لتعكس مشاركتهم ، أحد أشكال التلاحم المعنوي مع المشاركين الفعليين، هذا علاوة على مشاركة الفرسان المتطوعين، حتى أن من كان يريد المشاركة من الفرسان ولم يعد لديه ما يناسبه من خيل فقد كان يحصل عليه تبرعاً إما من الإمبراطور أو الأسر الغنية.

والحقيقة أن هذا التلاحم والحشد من عناصر سكان القسطنطينية لمواجهة هذا الخطر ؛ يعكس إهتمامهم بعاصمتهم ، وهى رمز الدولة. قد شكل ما اعتبرنا(مقاومة شعبية) والطريف أنه بمجرد إنتهاء هذا الخطر إنتهى هذا التلاحم ، وبمجيئ النصف الثانى من القرن السابع الميلادي بدأ الدور السياسي والشعبي لمجموعات القسطنطينية يتلاشى بالتدريج ؛ نظرا لان طبيعة الأخطار الخارجية الجديدة ، التى أصبحت تهدد بيزنطة، فرضت وسائل أخرى تتفق مع هذه المرحلة التاريخية.

Abstract:

The people of Constantinople had defended their city against various dangers in many instances, such as the attack of the Huns in 558-559 AD. At the time, Emperor Justinian was compiled by the debilitated Empire to organize the armies required to defend the city and protect its walls.

Despite the strained circumstances, the people and

the troops had cooperated in repelling this attack. For example, there was a small platoon of knights, about 300, a group of men from various squads of the imperial guard, whose mission was to defend the gates and neighborhoods, and another group to protect the walls and towers of the capital.

The dominant feature of these contingents was that most of them were either non-combatant or irregular forces. Significantly, most defenders were peasants, civil guards, volunteer knights, Senators, and some retired leaders. Each group had played an enthusiastic and patriotic role in defending the state and its capital. Furthermore, the members of the four- sports teams in Byzantium, players or fans, had participated in this resistance, whether through their financial donations to maintain and repair the walls or by guarding them. Moreover, Senators' participation had raised the morale. The Emperor and the wealthy families had provided the volunteer knights with proper horses.

In fact, the cohesion and the mobilization shown by the manifold people of Constantinople in the face of the crisis reflected their faithful concern for the capital, which was the symbol of the country. Their solidarity could be also considered as a form of popular resistance.

Nevertheless, as soon as the danger was over, people's coalescence was diminished. During the second half of the seventh century AD, the political and popular role of the Constantinople groups gradually faded away; since the nature of the new external dangers, which threatened Byzantium then, imposed other means consistent with this historical stage.

على الرغم من إصلاحات كل من الإمبراطور دقلديانوس، ومن بعده الإمبراطور قسطنطين الكبير، في مجال الحكم والإدارة، إلا أن العناصر المؤثرة في الدستور الإمبراطوري طلت كما هي. فإلى جانب الإمبراطور كان هناك مجلس الشيوخ (السناتو)، والجيش الذي كان المعِّبر الدائم عن المواطنين الرومان، على الرغم من تغلغل الكثير من العناصر الجرمانية فيه، ثم بدأت تظهر إلى جانب هذه العناصر عناصر جديدة مثل الكنيسة، التي كثيرًا ما

حملت على عاتقها ترجمة الإرادة الشعبية. وكان هناك عامل آخر، إلى جانب الكنيسة، ألا وهو الشعب نفسه، وتحت اسم دولة الرومان أصبح الشعب يشعر بأنه عضو في جسد دولة كبيرة، ومن ثم تمسك هذا الشعب باسم الدولة (الرومان) أكثر من تمسكه بالاسم القومي. (الهليني)؛ فقد أصبح هذا الشعب على وعي بأنه روماني؛ لذلك نجده كثيرًا ما كان يعبِّر عن رأيه تجاه الأمور العامة، وأصبح عاملا لا يجرؤ أحد على تجاهله.(٢)

فقد شاركت عناصر السناتو والجيش وشعب القسطنطينية في الحياة السياسية البيزنطية، بل وكانت لهم سلطة المشاركة في اختيار الإمبراطور نفسه، وعلى الرغم من أن كل عنصر من هذه العناصر كان يمثل مركز الثقل في الحياة السياسية لفترة زمنية، ثم يأتي عنصرٌ آخر ليحل محله وفقًا لتطور أحداث التاريخ البيزنطي، ولكن بقى دورهم واضحا على مدار هذه الأزمنة.(٣)

فقد كان مجلس السناتر محور الحياة السياسية في الجمهوريات الرومانية.(٤) ومركز الثقل فيه، حتى لقد كان من بين اختصاصاته اختيار الإمبراطور، واستمر يتمتع بهذه المكانة حتى انتقل مركز القوة الرئيسية في الإمبراطورية إلى الجيش، وبمجيء دقلديانوس إلى العرش فقد السناتو أهميته

---

(٢) كان الإمبراطور مارقان (٤٥٠- ٤٥٧ م) هو الذي جعل من الكنيسة عاملا من العوامل الدستورية، حين عهد بطريرك القسطنطينية تتويج الاباطرة، أنظر .

Manojlovic, le Peuple, P.P.617- 618.

(٣) رانسيمان، الحضارة، ص ص٦٣- ٧٥: راجع أيضًا: زبيدة عطا، قسطنطين، ص ص ٤٦- ٤٨.

(٤) لعل أباطرة هذا العصر كانوا يرغبون في منح السناتو هذا الدور حتى يستخدموه جبهة مناوئة لمواجهة تزايد نفوذ الجرمان في البلاط. أنظر: رأفت عبد الحميد، الثورة الشعبية، ص١٦، ص ص٤٦- ٤٧.

تماما[٥]، واستمر على حال من السبات حتى جاء الإمبراطور قسطنطيوس الثاني (٣٣٧- ٣٦١م) الذي فكر في إنشاء مجلس سناتو آخر في القسطنطينية لينافس مثيله في روما، وفقًا للأوضاع الجديدة[٦]. ومع أنه لم يصل إلى بريق سناتو روما، إلا أنه كان له دوره في الحياة السياسية مشاركا في توجيهها، بل وكان أحيانًا يزيد من صحوته فيشارك بقدر أكبر، فيما يجرى على خشبة المسرح السياسي البيزنطي، وإن كان اقلِّ مما كان عليه سناتو روما[٧]. ففي الأحداث التي أعقبت وفاة الإمبراطور ليو الأول (٤٥٧- ٤٧٤م) نجده يساهم في اختيار أربعة أباطرة على التوالي، كان آخرهم الإمبراطور جستنيان (٥٢٧- ٥٦٥م) [٨] الذي جدّد بمجيئه أمل مجلس السناتو في أن يستعيد ثقله القديم، وأن يشارك علميًا وبصورة أكبر في رسم السياسة البيزنطية في المستقبل، بعد هذه التجربة الفعلية. ولكن خاب ظن السناتو في جستنيان، الذي لم يمكنهم من تحقيق هذا الامل[٩].

وإذْ دبَّ الضعف في مركز السناتو، فقد أصبح الجيش مركز القوة

---

(٥) يقول المؤرخ بروكوبيوس إنه أصبح صورة معلقة على جدران الزمن.
أنظر: Procop. Arcana- p.p. 89- 93, cf.also: Jones, L.R.E, p.p.523- 562. وللمزيد راجع أيضًا: زبيدة عطا، قسطنطين،ص٤١.

(٦) كان الإمبراطور قسطنطين الكبير قد نقل عددا من أعضاء مجلس السناتو الروماني من روما إلى القسطنطينية، ولكن لأن صفوة الطبقة النبيلة في روما إلا أنه كان له دوره في الحياة السياسية. أنظر: وسام عبد العزيز، دراسات، ص١٦.

(٧) رأفت عبد الحميد، الثورة الشعبية، ص ص ١٦- ١٧.

(٨) كان أولهم الإمبراطور زينون (٤٧٤- ٤٩١م)، ثم اناستاسيوس الأول (٤٩١- ٥١٨م)، ثم جستين الأول (٥١٨- ٥٢٧)، ثم جستنيان، أنظر: رأفت عبد الحميد، الثورة الشعبية، ص٤٨.

(9) Malalas, Chron, P.P.410- 411, Evagrius, History, P.395, Zonaras, Epitomae, P.P.144- 150, cf.also: Jones. L.R.E., P.P. 266- 267, Diehl, Byzantium, P.30.

الرئيسة في الإمبراطورية، وبرز دوره في الحياة السياسية، حتى لقد أصبح له القول الفصل في اختيار الإمبراطور، واقتصر دور السناتو على التصديق على هذا الاختيار، وكان العصر الذهبي للجيش سواء في ممارسة دور سياسي أو في اختيار الإمبراطور، وإن جاء هذا على حساب النظام العسكري نفسه، في القرن الثالث الميلادي(١٠). ثم كان تتويج الإمبراطور ليو الأول في منتصف القرن الخامس الميلادي نقطة تحول للاعتبارات الثلاثة الآتية: الاول أن السناتو استعاد قدرًا من دوره القديم ليشارك فيما يجرى من أحداث، كالمشاركة في اختيار الإمبراطور. والثاني أن هذا يعد أول تتويج يشترك فيه بطريرك القسطنطينية، ليصبح هذا الأمر من التقاليد المرعية بعد ذلك(١١). والثالث أن دور الجيش في اختيار الأباطرة لم يستمر طويلاً، غذ سرعان ما راح يتقلص شيئًا فشيئًا هو الآخر، مثلما سبق أن حدث للسناتو، بل وسيقتصر دوره، فيما بعد على التصديق على الاختيار، عن طريق الهتاف بحياة الإمبراطور الجديد(١٢).

ويتقلص الدور السياسي للسناتو، ومن بعده الجيش، عما كانا عليه عند ظهورهما، باتت الفرصة مهيأة لبروز دور الشعب البيزنطي كي يعبر عن رأيه، ويشارك في الحياة السياسية. على أنه قبل المضي في الحديث عن هذا العنصر المؤثر، يجب أن نذكر أن الشعب البيزنطي كان في كثير من الأحيان، لا سيما في بدايات ظهوره على المسرح السياسي، يحتاج إلى من يوجهه، ولذا فغالبًا ما كان

---

(١٠) رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة، جـ٢، الفصل الأول.

(١١) Theophanes, Chronograohia, 1, P.110 راجع أيضًا: رانسيمان، الحضارة، ص٦٨.

(١٢) يعزي السبب الأساسي لتقلص هذا الدور إلى تأثير الإصلاحات العسكرية التي تبناها الإمبراطور قسطنطين الكبير في النصف الأول من القرن الرابع الميلادي. للمزيد أنظر: Malalas, Chron, P.369,

راجع ايضًا: رأفت عبد الحميد بالثورة الشعبية، ص١٧، وسام عبد العزيز، دراسات، ص٤٥.

السناتو أقرب العناصر المهيأة للقيام بهذا الدور، خاصة وأنه هو نفسه- أي السناتو- لم يعد يستطيع الاستحواذ وحده على التأثير في مجريات الأحداث السياسية مثلما كان عليه الحال من قبل عندما كان مقره في روما. ولكن نظرًا لما كان يتمتع به من مكانة، وثقافة وحجة، وبريق أيضًا، وإن خفُت حدته، فقد كان هذا مشجعًا لأهل القسطنطينية، ومن ثم فقد كانت بينهما فيما يبدو حاجة مشتركة. على أن الجيش كان يقوم بهذا الدور في بعض الأحيان، وفي أحيان أخرى كان السناتو والجيش يتفاهمان على كيفية توجيه الشعب للأحداث(١٣).

لكن لم يحدث أن كان صوت الشعب أكثر دويا مما كان عليه في الاحتفالات الكبرى، وفي تجمعات السيرك، وفي ملاعب المدن الكبرى، وبصفة خاصة القسطنطينية، حتى إن ملعب القسطنطينية اصبح الشغل الشاغل للشعب البيزنطي، ففيه كان يولي الأباطرة، وفيه يخلعون، وفيه يقام العدل، ويحتفل بالانتصارات، ويُعاقب المذنبون. وليس من قبي المبالغة القول بأن هذا الملعب قد جرت فيه أعظم مشاهد التاريخ البيزنطي. وها هو المؤرخ رامبو يقول عن هذا الملعب: إنه كان بحق بؤرة الحياة السياسية، فلم يكن مجرد حلبة للنشاط الرياضي، وإنما كان مسرحًا للنشاط السياسي كذلك(١٤).

إذن فقد حَرَصَ أهل القسطنطينية على حضور المسابقات الرياضية والعروض الفنية، والمناقشات السياسية المقامة في الملعب الذي يُسمى الهيبدروم(١٥). هو المكان المفضل لتجمع سكان العاصمة، فقد كان سباق

---

(١٣) رانسيمان، الحضارة، ص٧٥: راجع ايضًا: رافت عبد الحميد، الثورة الشعبية، ص١٦، ص ص ٤٧- ٤٨.، ٥١- ٥٤، ٥٧- ٥٩: وسام عبد العزيز، دراسات، ص١٦، ٤٥- ٤٦، ٤٩.

(14) Rambaud, Hippodromo: P.P15- 18: Diehl, Byzantium, P.108.

(١٥) الهيبدروم Hippodrome كلمة مشتقة من Hippos اليونانية وتعني الحصان. أما Dromos فتعني الميدان. أي إن معنى الكلمة هو: حلبة سباق الخيل. وهي من أكبر منشآت القسطنطينية وأكثرها حيوية أنظر: Theophanes, The Chronicle, P.P3- 4

العربات المقام في هذا المكان هو أحب المسابقات وأكثرها جاذبية لأهل القسطنطينية، منذ أن منعت الكنيسة منازلات المصارعين، وكان سائقو العربات يرتدون ملابس ذات اربعة الوان هي الأخضر والأزرق والابيض والأحمر، وكانت هناك جماعات (زُمَر) جيدة التنظيم تحفُّ سائقي العربات من كل لون، ولكل جماعة (زُمرة) خزانتها الخاصة لتمويل سائقي العربات وخيولهم وعرباتهم، وكان الصراع والتنافس محتدمين دائمًا مع فرق الالوان الأخرى، وسرعان ما صارت هذه الفرق تعرف بأسماء "الخضر" و "الزرق" و "البيض" و "الحمر"(١٦).

وشيئًا فشيئًا تحولت زمر السيرك (زمر الهيبدروم) التي كانت تعرف في العصر البيزنطي باس الديمات Demes (جمع ديم) إلى أحزاب سياسية تعبر عن مختلف الاتجاهات السياسية أو الاجتماعية أو الدينية(١٧). وكان أقوى هذه الديمات تأثيرًا وشعبية وشهرة، في نفس الوقت، هي ديم الزرق Venetoi ودسم الخضر Prasinoi . بل لقد زاد تنافسهما ليتحول من مجرد تنافس رياضي حاد، في الهيبدروم بين فريقين (ديمين) شهيرين، إلى مواجهة سياسية دموية بين مشجعي الزرق Venetiani وبين مشجعي الخضر Prasinani في شوارع وأحياء بيزنطة، أي بين حزبين سياسيين باعدت بينهما

باجع أيضًا: بينز، الإمبراطورية، ص١٢، ص٢٦: رأفت عبد الحميد، الثورة الشعبية، ص١٠، ص١٥: ليلى عبد الجواد، القسطنطينية، ص١١٤، ص ص ١٢٠- ١٢٤.

(١٦) أخذ هذا النشاط عن روما القديمة، ويرجع التراث الأوربي المتأخر اصل السيرك والسباقات وزمر السيرك إلى الأزمنة الأسطورية لروموليوس وريموس حيث مورست هذه الأنشطة في ملعب روما (الفورام) وفي ساحة أثينا (الأجورا). وتفسر مصادر القرن السادس الميلادي أسماء الزمر بأنها كانت توافق العناصر الأربعة: الأرض (الخضر) والماء (الزرق)، والهواء (البيض)، والنار (الحمر). Vasiliev, Byzantine Empire, p.p 154- 155, Diehl, Byzantium, P.P.108, Ostrigirsky, State,P.61.

(17)Manojlovic, Le Peuple, P.619.

الاختلافات الفكرية والدينية والاجتماعية، وأيضًا الاقتصادية[١٨].

وتحو العداء بين الحزبين إلى صدامات شديدة ومتكررة، وتميزت الحياة السياسية للإمبراطورية البيزنطية منذ منتصف القرن الخامس الميلادي بالصراع الدائم بين الرزق والخضر وزيادة التباعد بينهما، مما اثر في كثير من الأحداث السياسية في الإمبراطورية، ولكن لا يدري أحد تاريخ هذا العداء على وجه الدقة وربما يرجع إلى زمن بعيد، أو يكون قد انتقل من روما القديمة إلى روما الجديدة.[١٩] وفي ظل هذا الوضع اضطرت السلطة البيزنطية إلى أن تضع الديمات في حسبانها السياسي، مؤيدة هذا الحزب أو ذاك، بحيث اصبحت القاعدة أن يؤيد أحد الحزبين الحكومة بينما ينضم الحزب الآخرالي المعارضة. وفي بعض الأوقات كان الديمان (الأزرق والأخضر) يتفقان ضد السلطة الإمبراطورية، دفاعا عن حريتهما في مواجهة الحكم المطلق للإدارة المركزية البيزنطية، أو يتفقان من أجل مواجهة خطر يهدد الدولة نفسها.[٢٠]

هكذا وأصبح حزبا الزرق والخضر تنظيمين لهما أغراض سياسية، ولم يكن الهدف منهما الألعاب الرياضية فحسب، وأصبح صوت الجماهير في السيرك (الهيبدروم) شكلا من أشكال الرأي العام.[٢١] ونظرا لشعبية هذين الحزبين (الزرق والخضر) الذين كانت الحكومة تعين قادتهما، فقد أصبحت

---

(18) Cameron, factions, P.45, P.P.74- 91: Vasiliev, Byzantium, Empire, P.155, Lindsay, Jourope, P.55, ManoJlovic, Le Peuple, P.638.

راجع أيضًا: رانسيمان، الحضارة، ص ص ٧٥- ٧٨، وسام عبد العزيز، دراسات، ص٤٣.

(١٩) Procopius, De Bella, I,.p.p2- 4 راجع أيضًا: وسام عبد العزيز، دراسات، ص٤٤.

(20) Ostrogarsky, State, P.62.

(٢١) وفي رأي المؤرخ اوستبسكي (ث.أ): "أنه في غيبة الصحافة المطبوعة أصبح الهيبدروم هو المكان الوحيد لحرية التعبير عن الرأي العام الذكان يفرض ارادته، أحيانًا، على الحكومة. بل أن الإمبراطور نفسه أنظر: Vasiliev, Byzantine Empire, P.15.

لهما وظائف عامة مهم، حيث كانا يقومان على حراسة العاصمة، ويشتركان في إصلاح أسوارها. وكان الذي يقوم بهذا العمل هم عامة سكان الحضر، الذين كان يتم تنظيمهم بصفتهم حرسا وطنيا (محليا) للعاصمة. أما بقية الشعب فقد نظمت نفسها وراء هذين الحزبين، وانضمت إلى الزرق أو إلى الخضر، تؤيد هذا وتناهض ذلك(٢٢).

ولكن، متى بدأ دور الشعب يظهر كعنصر مؤثر في الحياة البيزنطية؟ الحق أن هذا الدور بدأ يظهر عقب وفاة الإمبراطورليو الأول، عام ٤٧٤. ثم أخذ هذا الدور يتزايد، إلى حد، تجديد الثقة بالإمبراطور أناستاسيوس(٢٣)، والمشاركة في اختيار الاقتصادية والدينية للدولة في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول (٣٧٨- ٣٩٥م) وحدثت مواجهات دامية بين الشعب وبين الحكومة، راح ضحيتها الآلاف في أماكن متفرقة من الإمبراطورية.(٢٤) كما شهد الهيبدروم ثورة شعبية في عام ٥١١م اتحد فيها الحزبان ضد الإمبراطور أناستاسيوس (٤٩١- ٥١٨م) ومن المرجح أن يكون السناتو قد شارك في توجيه أحداث الثورة ضد الإمبراطور، احتجاجا على سياسته الاقتصادية والدينية، والتي طالبت بخلعه(٢٥). ومن الأحداث الطريفة التي ارتبطت بهذه الثورة. أن الإمبراطور لجأ إلى طريقة درامية مؤثرة لعلها تنجح

(22) Ostrogorsk, State, P.61.

(٢٣) يذكر المؤرخ مالالاس أن الشعب نادي بسقوط الإمبراطور أناستاسيوس الأول، وذلك عام ٥١١م، ولكن بعد أن خرج إليهم الإمبراطور، وخطب فيهم في الهيبدروم، وتراجعت الجماهير، وهتفت بحياته، وسوف نتحدث عن ذلك بالتفصيل فيما بعد. أنظر: Malalas, Chron, P.P 406- 408.

(24) Theophanes, Chronographia, p.p.175- 182.

(25) ostrogarsky, State, p.p. 60- 62: Bury, Admin System, p.105. : راجع أيضًا الباز العريني، الدولة، ص ص ٥٩- ٦٣.

في إنقاذه، إذ وقف في مقصورة الهيبدروم الإمبراطورية Kathisma[٢٦]. وخلع عباءته الأرجوانية، وأعلن استعداده للتنحي إذا ما طلب منه الشعب ذلك، فما كان من جموع الحاضرين من الشعب (الديموس) إلا أن هتفوا بحياته.[٢٧] ولا ندري على وجه التحديد الدافع الحقيقي الذي جعل الإمبراطور يتصرف بهذا الشكل، وهل فعل ذلك لثقته في النتيجة التي وصل إليها؟ أم أنه- كما يرى الأستاذ الدكتور وسام عبد العزيز كان يرغب فيتجنب تطور الأمور إلى الاسوأ؟

وسواء أكان الدافع هذا أم ذاك، فمن المؤكد أن هناك تقديرًا من الإمبراطور لدور هذه الأحزاب في الأحداث السياسية، ومن ثم كان هناك تقديرًا من الإمبراطور لدور هذه الأحزاب في الأحداث السياسية، ومن ثم كان هناك الاقتناع بهذا الحق الشعبي الذي كان يمارس من خلال هذه الأحزاب.[٢٨]

كما اتحد حزبا الزرق والخضر ليمثلا تضامنا سياسيا مع الجيش والسناتو، وأصروا جميعا على تولية جستين الأول العرش (٥١٨- ٥٢٧م) خلفا لأناستاسيوس الأول، لاقتناعهم به[٢٩]. ولعل مساندة الجيش والسناتو للأحزاب في هذا الاختيار راجع إلى أن جستين، علاوة على الاقتناع به، كان يعمل في الحرس الإمبراطوري قبل اعتلائه العرش، حتى إنه تولى منصب قائد هذا الحرس. ومن المؤكد أن جستين قد حظى أيضا بتأييد السناتو، الذي

---

(26) Vasiliev, Byzamtin Empire, 1, p.154. عن المقصورة ومقاعد المشجعين في الهيبدروم راجع: رأفت عبد الحميد، الثورة الشعبية، ص١١.

(27) Malalas, Chron, p.p.406- 408.

(٢٨) وسام عبد العزيز، دراسات، ص ص ٤٥- ٤٦.

(٢٩) رانسيمان، الحضارة، ص٧٦.

كان عضوا به قبل ارتقائه العرش.[٣٠] وقد اعترف جستين الأول بفضل هذه القوى عليه في الوصول إلى العرش.[٣١]

ثم كانت أبلغ صور التضامن بين عناصر الحياة السياسية في الإمبراطورية البيزنطية عام ٥٣٢م، عندما أتحدث كلمة حزبي الزرق والخضر، مع السناتو والجيش، مدفوعين بدوافع اقتصادية ودينية وسياسية، وشخصية أيضًا.[٣٢] محدثين ثورة شعبية شاركت فيها مختلف فئات المجتمع في القسطنطينية، معبرة عن سخطها ضد الطبقة الحاكمة، وضد النظام القائم، وليس ضد الإمبراطور جسستيان أو حكومته فقط.[٣٣]

وغا كان هذا هو احال القوى الشعبية في الحياة السياسية[٣٤]، فقد كان لهذه القوى دور أيضًا في التعاون من أجل مواجهة أخطار الحرائق

---

(30) Vasliliev, byzantine Empire, I, P.67, Vasiliev, Justin, p.p. 63- 67.

(٣١) يستدل على ذلك من رسالة جستين التي بعث بها بعد اسابيع قليلة من اعتلائه العرش، إلى بابا روما، هورميداس Hormisdas (٥١٤- ٥٢٣م) والتي يقول فيها: "بنعمة الثالوث المقدس، توليت الإمبراطورية، باختيار كبار رجال رجال قصرنا المقدس يقول، ومجلس الشيوخ، ثم بموافقة وتاييد الجيش." أنظر: Gelasius, Epistulae, Vol. xxxv, p.586: cf. also: Vasilv, Hustin, P.80

(٣٢) زبيدة عطا، قسطنطين، ص٦٠.

(33) Malalas, Chron, p.p.473- 477: Procopius, De Bello,p.p.1-58.
راجع ايضًا: البحث القيم الذي كتبه الاستاذ الدكتور رأفت عبد الحميد بعنوان "الثورة الشعبية في القسطنطينية ٥٣٢م" في مجلة الجمعية التاريخية المصرية، العدد٣٢، القاهرة ١٩٨٥م.

(٣٤) لعل الأمثلة السابق ذكرها كانت أبرز ما شهدته القسطنطينية من نشاط. وهناك أمثلة مماثلة أخرى لتلاحم الحزبين في القرن السادس، وأوائل القرن السابع، في مدن آماسيا الصغرى والقدس وقيسارية وأنطاكية والرهاوطرسوس. أنظر: Theophanes, Chronographia, I,p.p.283- 295.راجع أيضًا: Manojlovic, le Peuple, p.p. 637- 639.

والزلازل والأمراض والأوبئة التي تعرضت لها مدينة القسطنطينية، وهددتها شر تهديد، علمًا بأنها كانت أكثر مدن العالم المسيحي في العصر الوسيط تتعرضا لمخاطر الكوارث الطبيعية(٣٥). وقد تجلت المشاركة الشعبية بين مختلف فئات السكان بكل انتماءاتها الحزبية، في مواجهة الوباء الذي تعرضت له القسطنطينية عام ٥٤٣م، وأوى بحياة الآلاف، ثم الأوبئة الثلاثة المتتالية التي نزلت بها في أعوام ٦١٩م، و٦٩٨، و٧٤٧م.(٣٦)

هكذا كان التعاون بين الأحزاب البيزنطية على مواجهة الأخطار الداخلية، سواء كانت سياسية، أو كانت كوارث طبيعية. فكيف كان مسلكها في مواجهة الأخطار الخارجية التي هددت كيان الإمبراطورية نفسه؟ ينبغي بادئ ذي بدء أن نذكر بأن هذه الأحزاب (الديمات)، التي كانت في الأصل هي الفرق الرياضية بالإضافة إلى مشجعي هذه الفرق، قد تمكنت من الحصول على مساهمات مالية من أنصارها لاستخدامها في تنظيم الألعاب، غير أن استخدامها لم يقتصر على هذا الغرض، بل كانت تستخدم لصالح الشعب (الديموس). وقد وصف المؤرخ فيلكن هذه الديمات من القرن الخامس إلى القرن السابع الميلاديين بأنها "فرق رياضية تكمن أهميتها في أنها لم تكن تضم المشاركين الفعليين في الألعاب فحسب، بل كذلك جزءًا كبيرا من السكان كافة، وليس فقط السكان الذين كانوا يقدمون مساهمات مالية في تنظيم الألعاب"(٣٧). مما يعني عدم دقة ما يذهب إليه المؤرخ رامبو من أن الديمات لم تكن سوى فرق السيرك، وأن فرق السيرك هذه ما هي إلا فرق من

---

(٣٥) وسام عبد العزيز، دراسات ص ص ٦ – ٧.

(٣٦) عن هذه الأوبئة الأربعة أنظر: Theophanes, Chronographia, I, p.299, p.p.423–429: Nicephorus, Archier, p.12, p.40.

(37) Manojlovic, le Peuple, p.620.

سائقي المركبات وسباقات لهذه المركبات[٣٨]. والحق أنه لا يمكن التسليم بهذا الرأي. إذ إن هناك شواهد تاريخية عديدة تؤكد أنهم كانوا مسلحين، وقادرين على الدفاع عن العاصمة، أو عن الإمبراطور ضد من يحاول الاستيلاء على السلطة[٣٩]. فهناك نص للدقلديانوس، مدون في تشريعات جستيان، يتعلق بالموافقة على استخدام الأموال المخصصة للألعاب في إصلاح أسوار القسطنطينية. وقد حدث أن استخدمت هذه الأموال في إصلاح أسوار العاصمة في عهد ثيودوسيوس الثاني (٤٠٨- ٤٥٠م)[٤٠]. بل هناك نقش على أحد أبواب هذه الأسوار مكتوب عليه باب الفريق الأحمر، دلالة على أن حزب الحمر قد بنى هذا الباب، وقاموا بإصلاحه كلما دعت الضرورة إلى ذلك[٤١]. وهناك إفادة أخرى من نقوش الأبراج والأسوار، بأن رجال الديمات قاموا بإصلاح أسوار العاصمة، بل وشاركوا في إقامة الاستحكامات الدفاعية في عام ٤٢٨م.[٤٢]

ويضاف إلى اهتمام رجال الديمات ببناء وترميم الاسوار، حملهم السلاح ليصبحوا حرسا دائمًا، أو حرسًا وطنيًا مدنيًا، للديم يمكن أن يطلق عليه اسم الميشليشيات المسلحة. وقد سُجلت أسماؤهم في قوائم، وبلغ عددهم ثمانية آلاف رجل من جميع الديمات في عهد ثيودوسيوس الثاني[٤٣].

---

(38) Rambaud, Hippodromo, p.29: Yvonne, le Bleus, p.501: Manoojlovic, le Peuple, p.619.

(٣٩) Yvonne. Le Bleus, p.515 ويوف يورد الباحث أمثلة لهذه الشواهد في مكانه المناسب من هذه الدراسة.

(40) Van Millingen, The Walls, p.44, p.79.

(41)Malalas, Chron, p.p.360- 361.

(42) Manojlovic, le Peuple, p.p.620- 621.

(43) Rambaud, Hippodromo, p.p.29- 31: Manojlovic, le Peuple, p.634.

وقد قام هؤلاء الرجال المسلحون (الميليشيات) بالدفاع عن أنفسهم، في بعض الأحيان، وبالدفاع عن أراضيهم، في أحيان أخرى، ومن ثم فمن المنطقي التسليم بأن السكان أنفسهم كانوا هم الذين يؤمنون الدفاع عن أنفسهم وممتلكاتهم ودولتهم، عندما لم تكن القوات الإمبراطورية كافية(٤٤). وكم من مدينة افتقرت إلى الأعداد اللازمة من الجند ولكنها استطاعت مع ذلك صدَّ هجمات الأعداء، في مختلف أرجاء الإمبراطورية. ولم يحدث ذلك في القسطنطينية فقط، وإنما حدث ايضًا في عدد كبير من المدن البيزنطية فيما بين القرنين الخامس والثامن الميلاديين في تراقيا وأنطاكية والرُّها، وسالونيك، وبيت المقدس والشام، وكذلك في الغرب في ميلانو، وروما. فقد دافعت هذه المدن عن نفسها بمواطنيها المسلحين من أفراد الديمات(٤٥). ومن ثم ستأكد الرأي القائل بأنه في غيبة التعاون بينالجيش الإمبراطوري والسكان، كانت الأراضي تقع في أيدي أعداء الدولة، وعلى العكس من ذلك، فعندما تعاونت هاتان القوتان كان في ذلك تدعيم لقوة الدولة نفسها.(٤٦)

وقد اتضح كذلك دور هذه الأحزاب في القسطنطينية في صدد الدفاع عن الإمبراطورية، كلما دعت الضرورة إلى ذلك. وقد تقدمت الإشارة إلى أن ذلك كان يحدث في أوقات محدودة، خاصة وأن الإمبراطور كان يتخوف أحيانًا من السماح لهم بالقيام بهذا العمل. لذا يثور التساؤل عن المرة الأولى لظهور الحاجة إلى الاستعانة بالديمات المسلحة في الدفاع عن القسطنطينية. ويبدو أن ذلك كان في عام ٣٧٨م، عندما عجزت قوات الإمبراطور فالنز (٣٦٤- ٣٧٨م) عن حماية العاصمة ضد القوط، الذين نهبوا وأحرقوا القرى المجاورة للعاصمة، بل واقتربوا من أسوار العاصمة، وتذمر السكان من

(44) Yvonne, le Bleus,p.501.

(45) Manojlovic, le Peuple, p.624: Yvonne, le Bleus, p.p500- 501.

(46) Manojlovic, le Peuple, p.p.623- 625.

الحكومة، ومن سياستها العسكرية العاجزة، وفي إحدى السباقات التي جرت في الهيبدروم، وجهت الشتائم إلى الإمبراطور، وهتف الناس "أعطنا يلاحا، وسنقاتل بأنفسنا" ولكن الإمبراطور قابل ذلك بالرفض لتخوفه مما يمكن أن يؤول إليه دور الديمات إذا ما سُمح لها بالتدخل في أمور الدولة، ولعله كان هناك حاجز نفسي بين الإمبراطور وبينهم منذ بداية حكمه، إذ إن هذه الديمات لم تكن مرحبة بحكمه.(٤٧)

وإذا كانت السلطة الإمبراطورية قد رفضت اللجوء إلى الديمات هذه المرة، فإنها بعد انقضاء، حوالي اثنين وعشرين باتت في حاجة لا إلى مساعدتها فحسب، بل وإلى بطولة سكان القسطنطينية. ففي عام ٤٠٠م، وفي أثناء حكم الإمبراطور اركاديوس (٣٩٥- ٤٠٨م) هدد القوط القسطنطينية تهديدًا، ولم يصد هذا الخطر سوى سكان المدينة من مختلف الديمات، بالتعاون مع الدولة والكنيسة. ويمكن القول إن الشعور الوطني، مشفوعًا بالقصيدة الدينية، كان أهم عوامل هذا الإنجاز. ومن المرجح أنه بدءًا من هذا التاريخ، طل سكان القسطنطينية المسلحون مستعدين للقيام بهذا الدور.(٤٨)

هكذا بدأت تتوالي مساهمات الأحزاب السياسية في قيادة طبقات الشعب من مختلف الدسمات، للدفاع عن الإمبراطورية عامة، والقسطنطينية خاصة، ومن أهم هذه المساهمات، على سبيل المثال لا الحصر، تصدي سكان القسطنطينية للدفاع عن مدينتهم أمام الهون عام ٥٥٨م، وهوالمثال الذي ستتناوله هذه الدراسة(٤٩)، ثم تصديهم مرتين للغزو السلافي الذي تعرضت

(47) State, Crats, Ecclesiastica, Cols 559- 560: cf. also: Ostrogarsky, P.48, Manojlovic, le Peuple, p.633.

(48) Ostrogorsky, State, p.p. 50- 51; Manojlovic, le people, p.63.

(49) Bury, Host of the L.R.E., p.p.304- 307; Manojlovic, le Peuple, p.p.625- 628.

له أسوار العاصمة عام ٥٨٣- ٥٨٤م، ثم عام ٦٠١م[٥٠].

ولاريب أن المشاركة الفعلية لسكان القسطنطينية، بمختلف فئاتهم، في التصدي لخطر الهون الذي هدد مدينتهم في عام ٥٥٨م، كما سنرى في السطور التالية، لهو دليل على أهمية هذه المشاركة الشعبية، التي كانت واقعًا ملموسًا في صفحات التاريخ البيزنطي من القرن الخامس حتى أوائل القرن السابع الميلادين.

يعتبر الهون من أشرس العناصر الجرمانية التي هددت أوربا.[٥١] وقد كانوا يعتمدون على الخيل في ترحالهم، وعلى الحروب الخاطفة في هجماتهم، واشتهروا بالوحشية[٥٢]. ومن ثم فقد ألحقوا الدمار هنا وهناك، سواء بالقبائل الجرمانية، أو بممتلكات الإمبراطورية الرومانية، ثم الإمبراطورية البيزنطية نفسها[٥٣]. وبعد القائد أتيلا أبرز زعماء الهون، ومؤسس مملكتهم. وبعد مقتله في عام ٤٥٣م، بدأ التمزق في أوصلا دولته، وتصارعت الأطماع بين قبائل الهون[٥٤].

---

(٥٠) Theophanes, Chronographia, p.410; cf. also: Yvonne, le Bleus, p.500
هذه الأمثلة المرتبة زمنيًا، وهي على سبيل المثال لا الحصر مع ملاحظة أن هذه الديمات كانت أحينا تتدخل لصالح الإمبراطور لمساندته ضد تمرد أو ثورة، فقد دافعت عن الإمبراطور فوقاس ضد هرقل، قبل أن يعتلى الأخير العرش. أنظر: Yvonne, le Bleus, p.523.

(٥١) الهون شعوب آسيوية رعوية ترجع جذورها إلى الجنس المغولي، جاءوا من وسط آسيا إلى أوروبا، وقيل إنهم عبروا البحر الأسود ولكن كما يقول أجاثياس لاندري كيف عبروا ثم أحاطوا العالم الروماني من ناحية الشمال الشرقي، بين جبال اورال وألطاي انظر: Agathias, Histariarum, p.300. راجع أيضًا: سعيد عاشور، أوروبا، ج١، ص٢٩٢.

(٥٢) كما تصفهم المصادر بأن منظرهم فبيح، وملابسهم غيبة. أنظر: Theophanes, Chronographia p.359 رايجع أيضًا: سعيد عاشور، أوروبا، ج١، ص٢٩٢.

(53) Malalas, Chron, p.p.489- 490; cf. also: Finaly, Greec, I, p.206.

(٥٤) عن هذه القبائل، وصراعها بعد موت أتيلا أنظر: Agathias, Historiarum, p.p.300- 301. راجع أيضا: وسام عبد العزيز، دراسات، ص٨١.

ومن بين قبائل الهون التي تصارعت، قبيلتنا الأوتيجور Utigurs والكوتريجوس Kotrigurs[٥٥] ولم يكن صراع الأطماع فقط هو سبب العداء بين هاتين القبيلتين. وقد تناولت المصادر المعاصرة سبب هذا العداء. فيقول أجاثياش بين هاتين القبيلتين. وقد تناولت المصادر المعاصرة سبب هذا العداء. فيقول أجاثياس إن الغريزة البربرية والطمع في الغنائم هما السبب في الصراع بينهما، علاوة على أن زعيم قبيلة الأوتيجور، ويدعى ساندخولس Sandichlus، كان صديقًا للبيزنطين، ولذا نال تكريم الإمبراطور، الذي أحسن إليه وأغدق عليه الهدايا؛ في حين كان نصيب الكوتريجيين هو اللامبالاة والاحتقار من قبل الإمبراطور. وهكذا اشتد العداء بين القبيلتين، حتى إن الكوتريجيين قرروا بعد ذلك القيام بحملة ضد البيزنطين، ليعطوا درسًا لمن يحتقرهم، كما أجاثياس، وربما كذلك ليحصلوا على غنائم تشفى غليلهم[٥٦].

إذن فقد بدأت هذه الأحداث ينشوب قتال عنيف بين قبيلتي الكوتورجوس والأوتيجور، انتهى بانتصار الأوتيجور، ولكن بعد سنوات قليلة من هزيمة الكوتريجوس، بدأوا يستعيدون عافيتهم بقيادة قائدهم زابرجان Zabergan، *حتى إنهم قرروا مهاجمة الإمبراطورية البيزنطية، للأسباب التي أوردها المؤرخ أجاثياس* سابقا[٥٧] وهكذا ففي شتاء عام ٥٥٨م، اتجه الكوتريجوس بقيادة زابرجان جنوبًا، وعسكر بالقرب من نهر

---

(٥٥)عاش الاوتيجور شرقي مدخل بحر أوزف، بينما عاش الكوتريجوس في بلغاريا الكبرى، في الجانب الشرقي من البحر الأسود، بالقرب من بحر أزوف. *أنظر*: Theophanes, Chronograohia, p.55cf.allso: Diehl, Hustinien, p.378.

(56) Agathias, Historiarum, p.303.

(57) Agathias, Historiarum, p.303; cf. also: Bury, Hist of The L.R.E., p.304.

استروس، ثم عبر نهر الدانوب سريعًا، لان النهر كان متجمدًا، ومن ثم لم تعرقل العبور تلك الاستحكامات التي كان قد أقامها الإمبراطور جستنيان خلف النهر(٥٨) ثم شن زابرجان هجومًا مفاجئًا على أهالي إقليمي سكيذيا Scythia *وموزيا* Moesia *غربي البحر الأسود، شكالي إقليم تراقيا*(٥٩)؛ على الرغم من أن جستنيان كان قد عين قائدًا عسكريًا على كان من هذين الإقليمين(٦٠). ويستدل أيضًا على سهولة تقدم جيش الكوتريجوس، من رواية المؤرخ أجاثياس التي يقررفيها أن جيش زابرجان قد عبر النهر وكأنه يابسة، دون أدنى مقاومة؛ لأنه يبدو أن المقاطعات التي مر بها كانت خالية من القوات حتى انقضوا على تراقيا(٦١).

سيطر زابرجان على تراقيا، وبدأ يستعد لمواصلة تقدم، فقسَّم قواته إلى ثلاثة جيوش، أرسل أولها إلى شبه جزية البلقان ليستولي على المناطق التي كان على علم بأنها كانت خالية من قوات كافية لحمايتها(٦٢)، وأرسل الثاني إلى شبه جزيرة القرم لغزو خرسون (سباستيبول) مستخدما القوارب البحرية(٦٣)

---

(٥٨) لم تحل الاستحكامات التي أقامها الإمبراطور جستنيان خلف هذا النهر دون وقف هذه الغازات الجرمانية، نظرًا لضغط هذه القبائل المغيرة، ونقل عدد كبير من الجند لمباشرة القتال في جهات أخرى. أنظر: الباز العريني، الدولة، ص٧٧.

(59) Agathias, Historiarum, p.p.303- 301.

(٦٠) كان جستنيان قد استحدث نظام تعيين قائد عسكري على كل إقليم من هذين الإقليمين، وذلك على حساب سلطات قائد عام الشرق وقادة مناطق تراقيا ومقدونياز أنظر:
Bregier, les In- Stitution, p.p.338- 339; Gulloi, laCivilsation, p.166.

(61) Agathias, Historiarum, p.301; cf. also: Bury, Hist of The L.R.E.II, p.304.

(62) Agathias, Historiarum, p.p.301- 302.

(٦٣) تقع جنوب غربي شبه جزيرة القرم، وهي عبارة عن لسان يدخل في البحر به المياه من الجانبين، ويقطع هذا اللسان سور بالعرض يقع خلفه مدن وحقول، ولم يكن من السهل الوصول إليها نظرًا لمناعة هذا السور، وقد فكر زابرجان في هدم هذا السور للوصل إلى هذه المدن. أنظر: Agathias, Historiarum, p.p.302- 303.

أما الجيش الثالث فقد كان بقيادة زابرجان نفسه، وقد توجه إلى القسطنطينية على رأس سبعة آلاف من الفرسان، وبم يجد مقاومة في طريق تقدمه إلى العاصمة(٦٤). حتى إنه اجتاح ونهب المناطق التي كان يتقدم إليها. وقد وصف المؤرخ أجاثياس- أفضل من أرّخ لهذه الأحداث- ما ارتبكه زابرجان في هذه المناطق، بقوله: لم تجد قوات زابرجان مقاومة في طريقه، فغزت الحقول، واجتاحت المدن، وبثت الاضطراب في كل مكان، ونهبت بلا هوداه، واستحوذت على غنائم كثيرة وسبت عددًا كبيرًا من الاسرى، ولم تنج من هذه الفظائع النساء الفاضلات، اللاتي تعرضن لأوخم المحن، ووقعن فريسة لشهوات البرابرة. بل إن بعض العذارى المعتكفات في الأديرة، لو يسلمن من تلك الرزايا. كما أن حبالي كثيرات قد عوملن بوحشية بالغة في أثناء الولادة، ولم يكن ولدانهن الأبرياء بأفضل حظًا، فإذا هم فريسة للكلاب الضالة والطيور الجوارح.(٦٥)

ولا يخفى أن هذا الوصف الذي أوردته المصادر المعاصرة، يثبت تدهور الحالة العامة للإمبراطورية، حتى لقد استطاع عدد صغير م الهون أن يرتكب هذه الفظائع في داخل المناطق المحيطة بالقسطنطينية، وأصبح الطريق

---

(٦٤) يتناول المؤرخ أجاثياس هذه الأحداث، فيقسم جيش زابرجان إلى قسمين، لا إلى ثلاثة، الأول شبه جزيرة البلقان، والثاني إلى شبه جزيرة القرم لغزو خرسون، تحت قيادة زابرجان، ولأنه لم يتمكن من عبور سور مدينة خرسون، وتوجه بنفسه ببقية قواته إلى القسطنطينية، ولكن المؤرخ الانجليزي بيوري تناول هذه الراية بتقسيم الجيش إلى ثلاثة أقسام، وهو ما أخذ به الباحث، خاصة وإن هذا التقسيم الأخير يساعد على سهولة سرد الأحداث. أنظر: Agathias, Histoiarum, p.p.301- 303, cf. also: Bury, Hist of The L.R.E, p.304

(65) Agathias, Historiarum, p.p.303- 304; Malalas, Chron, p.p.491- 492; Theophanes, Chronographia, p.p.354- 361; cf. also: Bury, Hist of The L.R.E.p.305.

مفتوحًا أمامه للتقدم نحو العاصمة نفسها(٦٦). ولم يكن سهلا أن تتعرض العاصمة لهذا التعديد، فهي رمز الدولة من ناحية، وهي محصنة بموقعها وبأسوارها من ناحية أخرى. لذلك كان شغل جيستنيان الشاغل هو تدبير القوات اللازمة للدفاع عن المدين، وعن السور الطويل الذي يحميها، وهنا يحق للمرء أن يتساءل عن أهمية هذا السور بالنسبة للقسطنطينية. الحق أن الإمبراطور قسطنطين قد حرص عند بناء العاصمة على بناء سور من ناحية البر لحمايتها، وقد امتد هذا السور الطويل من سليمبريا *Selymbria* على بحر مرمرة حتى البحر الأسود، لحماية العاصمة وضواحيها من هجمات العناصر البربرية، وقد أطلق على هذا السور اسم سور القسطنطينية العظيم. وأحيانًا سور قسطنطين العظيم(٦٧).ولما كان الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني (٤٠٨- ٤٥٠م) قد وسَّع حدود العاصمة، فقد قام ببناء ما يسمى بالسور الضخم أو الأسوار الثيودوسيوسية وهو يعرف بالسور الثلاثي، لأنه كان يتكون من ثلاثة أسوار متوازية ومتقاربة، الأول يمتِّد من بحر مرمرة إلى القرن الذهبي، ويبعد حوالي ميلين إلى الغرب من السور القديم لكي يشمل الضواحي؛ والثاني شيده وإلى المدينة عام ٤١٣م غربي العاصمة، والثالث شيده وإلى المدينة أيضا عام ٤٤٧م، وجعل أمامه خندقًا يملأ بالمياه غذا ما تعرضت العاصمة لأي عدوان. وكان يفضل بين هذه الاسوار مسافات كافية تسمح لجنود حامية المدينة بحرية الحركة للدفاع عنه. ولكن هذه الأسوار،

---

(66) Malalas, Chron, p.491.

(٦٧) هو سور حجري ضخم طوله ٤٠ ميل، وسمكه ١١ قدما، وتكثر أبراجه التي تبرز إلى الأمام بحوالي ٣٠ قدما. أنظر Theophanes, The Cronicle, p.9; cf. also: Van Millingen, The Walls,p.55. رايجع أيضا: ليلى عبد الجواد، القسطنطينية، ص ص ١٦٨- ١٧٣.

والارجح أن هذا السور الجديد أطلق عليه سور أناستاسيوس[٦٨] وكانت المنطقة الفاصلة بين موقع هذه الاسوار وبين العاصمة بمثابة دائرة إدارية وعسكرية خاصة، يتولى قيادتها اثنان من القادة، مما يعكس مدى الاهتمام بهذا السور. فقد كان على رأس الجيش البيزنطي في القرن السادس الميلادي عشرة قادة، منهم ثمانية في أنحاء متفرقة، واثنان يقيمان في القسطنطينية، ويضطلعان بمهمة الدفاع عن هذه الأسوار. ثم وجد الإمبراطور جستنيان أنه من الافضل جمع وظيفة هذين القائدين في وظيفة واحدة تتبع وإلى المدينة (القسطنطينية) مباشرة[٦٩]. وهي دلالة جديدة على أهمية هذه الاسوار؛ فهذا الوالي هو الذي يدير العاصمة، وهو المسئول الاول عن القانون والنظام بها، وعن إمدادها بالطعام، ومراقبة التجارة والصناعة بها. ونظرا لمهامه الجسيمة هذه، فقد أطلق عليه البيزنطيون اسم (أبو المدينة)، وكانوا يقولون إن منصبه منصب إمبراطوري، وإن لم يكن ذلك يعطيه الحق في ارتداء الثوب الأرجواني.[٧٠]

لذا كان من الضروري أن يدبر جستنيان القوات اللازمة للدفاع عن هذه الأسوار ضد الغزو البربري، لأنها كانت في ذات الوقت تحمي العاصمة نفسها. فيذكر المؤرخ ثيوفان أن الإمبراطور "جمع الكثيرين" وقسمهم غلى قسمين: الأول، وقد ارسله غلى السور الطويل، وكان يتكون من بعض

---

(68) Bury, Hist of The L.R.E,I, p.p.70- 72.

راجع أيضا: رانسيمان، الحضارة، ص ص٣١- ٣٢؛ وسام عبد العزيز، دراسات، ص٤؛ ليلى عبد الجواد، القسطنطينية، ص١٦٩.

(69) Bury, Hist of The L.R.E., I, p.p. 71- 73; Bury, Admin System, p.68; Brehier, Le Institutions, p.p.338- 339; Diehl, Byzantiu p.p.95- 97; Van Millingen, The Walls, p.p.45- 55.

(70) Theophanes, The Cronicle, p.7.

الفلاحين المقيمين في ضواحي العاصمة، ومن قوات فرقة الاسكلارية، وهي أهم فرق الحراسة الإمبراطورية التي كانت مكلفة بالدفاع عن اسوار العاصمة وبحراسة القصر(٧١) أما القسم الثاني فقد ارسله إلى الأسوار الثيودوسيوسية، وكان يتكون من جزء من فرقة الاسكلارية، ومن رجال حرس الاكسكوبيتر، الذين كانوا يقومون بمهام الاسكلارية نفسها وإن كانت اقل منها في المرتبة(٧٢)، وقوات البروتكتورات التي كانت مهمتها الأصلية حراسة المناطق الشرقية، ولكن جستنيان كلفها بالتعاون مع هذه الفرق لتأمين حراسة أسوار العاصمة ضد الهون(٧٣)، هذا إلى جانب وحدة المشاة العانة التي كانت مقيمة في القسطنطينية، وكان يطلق عليها أسم النوميرا(٧٤)، علاوة على السناتو الذي أمر الإمبراطور بضمه غلى هذه القوات. بل إن المؤرخ ثيوفان يحدد هذا بدقة فيقول "كل مجلس السناتة"(٧٥) هذا بالإضافة إلى أن جستنيان كان قد أقام في هذه المناطق حصونًا عديدة وسورًا لحماية تلك الجهات، وذلك بعد أن تعددت غارات الهون على سهول شبه جزيرة القرم، وتخوفه من مغبة التقدم غلى القسطنطينية، وتهديد أملاك الإمبراطورية(٧٦).

ولكن، هل كانت لهذا التجمع فعاليته؟ الحق أنه لم يكن له اي تأثير بالمرة على زابرجان، الذي لم يُبْد إلا تصميمًا على البقاء. كما لم ينجح هذا الجهد البيزنطي في وقف تقدم قوات زابرجان، الذي استولى بالفعل على بعض

(71)Theophanes, Chronographia, p.361; Constantine Porphyr, De Cer, I, p.p.49- 55.

(72) Bury, Hist of the L.R.E., P.227.

(73)Theophanes, The Cronicle, 125; cf. also: Bury, Admin System, p.p.55-56

(74)Heaath, Armiess, p.13; Guilland, Les Noumera, p.415.

(75)Theophanes, Chronographia, p.361.

(٧٦) الباز العريني، الدولة، ص٧٨.

الطرق المؤدية إلى العاصمة، ووصل ايضًا إلى السور الطويل، عقب نجاحه في هزيمة القوات القليلة التي واجهته، وقتل واسر بعضها(٧٧)، وواصل تقدمه حيث وجد ثغرة في الأسوار الطويلة من ناحية سور اناستاسيوس، ونجحت قواته في تسلق هذه الاسوار من خلال هذه الثغرة، واقترب من التحصينات الداخلية للمدينة(٧٨) على الرغم من انتشار وحدات الحرس الإمبراطوري في ثكنات عديدة منشرة على طول الطرق المؤدية إلى العاصمة، وفي الضاحيتين الكبرى والصغرى القريبتين من العاصمة(٧٩). ومن المناسب في هذا المقام تأمُّل الأسباب التي يسرت لزابرجان دخول المدينة على هذا النحو. تشير المصادر المعاصرة إلى أن قوات الجيش الإمبراطوري في هذه الآونة لم تكن كافية، وأن عامي الزمان والإهمال قد فعلا فعلهما في عدة أماكن من هذا السور. وإلى جانب أن كثيرا من الاسوار والحصون كانت مهدمة ومهملة، فقد استطاع الهون أن يهدموا أجزاء أخرى منه، كما أنهم لم يلقوا أي مقاومة تُذكر حيث لم تكن هناك حامية عسكرية قوية تستطيع أن تتصدى لهذا الهجوم(٨٠). ويضيف المؤرخ أجاثياس واصفًا حالة من الاستسلام التي وجدها الهون في أثناء تقدمهم بقوله: "إنهم لم يلقوا أي مقاومة تذكر حتى إن المرء لم يسمع ولو نباح كلب، وكان السور محرومًا حتى من الحماية التي تتمتع بها حظيرة الخنازير أو الأغنام"(٨١)

---

(٧٧) تذكر المصادر أنه كان من بين الأسرى اثنان من كبار قادة الجيش البيزنطي، على الرغم من أنهما قد أبليا بلاء حسنا وهم سرجيوس، (Sergius) وايديرمان (Ederman). أنظر:

- Malalas, Chron, p.490; Theophanes, Chronographia, p.360.

(78)Agathias, Historiarum, p.305; theophanes, Chronographia, p.360.

(79) Constantin Porphyr, De Cer, p.45; cf. also: Bury, Admin System, P.4; Diehl, Byzantium, p.97.

(80) Malalas, Chron, p.490; Theophanes, Cgronographia, p.360.

(81) Agathias, Historiarum, p.305; cf. also: Manojlovic, Peuple, p.625.

كما أن تقلص حجم الجيش تقلصًا ملحوظًا أثر على كفاءته، فاصبح غي قادر على حماية كل أراضي الإمبراطورية. فهذا الجيش الذي كان عدده يناهز خمسة وأربعين وستمائة الف محارب، انخفض عدده إلى ما بين عشرين ومائة ألف وخمسن ومائة ألف(٨٢)؛ بل وكان هذا العدد القليل موزعًا على عدة جبهات في إيطاليا وأفريقيا وإسبانيا ومصر، وعلى حدودها مع الفرس(٨٣). ويرتبط بهذا العامل خطأ آخر ينسب إلى جستنيان، وهو أنه لم يحسن التصرف في بعض الأمور. ومع التسليم بما حقق من إنجازات، إلا أنه اهتم بمشروعات الغرب على حساب الشرق ضد الفرس، وعلى حساب الشمال أيضًا ضد الهون والسلاف(٨٤). ثم إن تقدم جستنيان في العمر قد قلل من أدائه وحيويته وانتصاراته، إلى حد كبير، حتى بدأ يلجأ إلى أسلوب الحيلة والمكيدة وتحريض أعدائه بعضهم على بعض، أكثر مما كان يلجأ إلى محاربتهم(٨٥). ويضيف أجاثياس أن الاضطراب والخوف سيطرا على جستنيان من جراء هجوم زابرجان، مثلما سيطرا على الشعب نفسه(٨٦). ثم إن الكوارث الطبيعية قد ساهمت بنصيب وافر بدور فعال في تردى حالة الجيش البيزنطي، ومن ثم في تقدم زابرجان صوب العاصمة. ففي سنوات حكم جستنيان الأخيرة تزايدت الكوارث، سواء المجاعات، أو الطاعون الذي حدث عام ٥٤٤م، مما أضر باقتصاد الدولة، إذا انخفضت الموارد بشكل ملحوظ، فما كان من جستنيان إلا أنه عمل على تعويض ذلك بفض

---

(٨٢) Manojlovic, Peuple, p.624 راجع أيضًا: سعيد عاشور، أوروبا، ج١، ص ١١٣.

(83) Agathias, Historiarum, p.305.

(٨٤) الباز العريني، الدولة ص ص٦٤- ٧٩؛ وسام عبد العزيز، دراسات، ص١٨٢؛ فتحي الشاعر، جستنيان، ص ص ١٦١- ٢٠٦.

(85) Agathias, Historiarum, p.p. 305- 307.

(86) Agathias, Histriarum, p.309.

الضرائب، مما أدى إلى استياء الشعب وازدياد الأوضاع سوءًا[٨٧]

إذن فقد عقد زابرجان عزمه على دخول العاصمة، ويُسْتَشَفُّ ذلك من إقامته معسكره بجزار قرية ملانتياس Melantias على نهر أثيراس Athyras الذي يصب على بحر مرمرة[٨٨]. وما كان مُقامه قريبًا جدًا من العاصمة على هذا النحو إلا أنه الطريق قد اصبح مفتوحًا أمام القوات المهاجمة لدخول العاصمة، حتى اصبحت قوات زابرجان مطمئنة لموقع المعسكر الذي اقاموا فيه، غذ كانت تراقيا والمدن المجاورة للقسطنطينية عارية من أي حماية، فباتت فريسة بلا حول ولا قوة. ويصف أجاثيوس هذا بقوله: "لقد عسكر الهون فيذلك الموقع ثابتي الجنان، من دون أن يهتز لهم جفن"[٨٩]وربما أراد زابرجان باختياره هذا المكان ليعسكر فيه، أن يحقق هدفًا آخر في الوقت نفسه، ألا وهو انهيار الروح المعنوية لأهالي القسطنطينية. وقد كان له ما أراد؛ فحين أوشكت قواته على دخول العاصمة، دب الذعرفي قلوب أهالي القسطنطينية، فإذا هم يرون بعين الخيال أهوال الحصار والحرائق والمجاعة وانهيار الاسوار، كما لوم كان الهون قد اجتاحوا العاصمة بالفعل. بل إن الفزع اصاب الإمبراطور نفسه، ومن ثم فقد عمت الفوضى مظاهر الحياة تماما، وهرعت أفواج من الناس تلتمس النجاة بعيدًا عن الخطر، وتجمعت مجموعات أخرى في الميادين، وكانت الفوضى اعظم ما تكون في قلب ميدان العاصمة الكبير.[٩٠]

في محاولة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، بدأ الإمبراطور بأن أمر بنقل كل

---

(٨٧) رانسيمان، الحضارة، ص٣٥؛ وسام عبد العزيز، درسات، ص ١٨٢.

(88) Theophanes, Chronographia, p.360.

(89) Agathias, Historiarum, p.308>

(90) Malalas, Chron, p.390; Agathias, Historiarum, p.308.

كنوز الكنائس المنتشرة من الأوكسين غلى القرن الذهبي[٩١] إما بالعربات إلى العاصمة، وإما بالسفن إلى الجانب الآسيوي للبوسفور[٩٢]. ثم كلف الإمبراطور قائده المحنك بيلزاريوس بهمة إنقاذ العاصمة، على الرغم من أنه قد ترك الخدمة العسكرية، وعلى الرغم ايضًا من ضعفه وتقدمه في السن؛ مما يعني أن هذا التكليف كان نداء من الإمبراطور ايضًا. وعليه فقد استجاب بيليزاريوس لهذا النداء وعاد ليلبس خوذته ودرعه من جديد. والحقيقة أن الوضع السيئ الذي كان فيه جستنيان، وطبيعة الأرض التي كان عليه أن يحارب فيها، وهي ارض مكشوفة تحتاج غلى قوات أكبر، كل ذلك جعل جستنيان يأمن اللجوء إلى قائد مخلص له، ذي خبرة مثل بيليزاريوس[٩٣]. اعتمد بيليزاريوس أساسًا على قوة صغية مؤلفة من ثلاثمائة رجل ممن قاتلوا معه في إيطاليا قديمًا، وكانوا من المدرعين الاشداء. وتقول المصادر إن منهم من كانوا لا يزالون في الخدمة فرسانًا للإمبراطور، وقد التمسوا من الإمبراطور الخروج مع بيليزاريوس الذي قد طلب منهم ذلك، كما تقول

---

(٩١) الأوكسين ضاحية توجد في طرف القسطنطينية عند الحد المقابل للقرن الذهبي من الناحية الأخرى. أما القرن الذهبي فهو المنقذ المائي الذي كان يحد القسطنطينية من الشمال. أنظر:
Theophanes, Chronographia, p.290.

(٩٢) ويصف أجاثياس حالة الكنائس بعد نقل كنوزها بأنها بدت وكأنها عارية، حديثه البنيان. أنظر:
Agathias, Historiarum, p.309; Theophanes, Chronographia, p.361.
- راجع أيضًا : الباز العريني، الدولةص٧٧.

(٩٣) بدا بيليزاريوس حياته العسكرية ضمن الحرس الشخصي لجستيان، وأظهر مهارة فائقة في معارك عديدة خاصة في منطقة أرمينيا، فبدأ جستنيان يركن إليه قائدًا عسكريًا فذا. للمزيد أنظر:
Historiarum, p.305; cf. also: Manojlovic, Le Pepule, p.625.
- راجع أيضًا: فتحي الشاعر، السياسة الشرقية، ص١٩١.

المصادر إن بعض رجال هذه القوة، ممن لم يكن لديهم خيول، حصلوا على الخيول من الإمبراطور أو من المواطنين[٩٤] أما بقية القوات التي جمعها بيليزاريوس فلم تكن تعرف شيئًا عن الحرب، وتصفهم المصادر بأنهم كانوا عزلا وضعفاء، وهم على النحو التالي:

١- الفلاحون (الاجريكوي) وكانوا قد أتوا من أماكن مجاورة، سواء من القى أو من ضواحي العاصمة، تاركين ممتلكاتهم وحقولهم التي لحقها الدمار من قبل زابرجان، وقرروا الانضمام إلى بيليزاريوس الذي رحب بهم، وقرر الاستفادة منهم في دعم المظهر العام للجيش؛ إذ إنهم بالطبع لن يدعموه في القتال الفعلي[٩٥]

٢- رجال من فرقة الاسكلارية؛ وإن كان أداؤهم العسكري لا يبعث الثقة في النفس بسبب تراجع مهاراتهم القتالية. وقد اصطحبهم بيليزاريوس، تحسبا لأي عمل يمكن أن يقوموا به، لا سيما وإنهم على اقل تقدير أحسن حالا من الفلاحين في مجال القتال.[٩٦]

٣- السناتو ويقول المؤرخ ثيوفان إن "جستنيان ارسل، بيلزاريوس مع آخرين من مجلس الشيوخ، لمحاربة زابرجان"، اي أنه لم يرسل كل المجلس، كما قال ثيوفان نفسه في المرة السابقة التي استدعى فيها جستنيان المجلس للمشاركة في مواجهة زابرجان عند اسوار العاصمة. كما أن هذا الأمر تم بأمر من الإمبراطور لا من بيليزاريوس. ولعل جستنيان كان يهدف من إشراكهم في جيش بيليزاريوس إلى رفع الروح المعنوية لهذا الجيش، وقد

---

(94) Theophanes, Chronographia, p.361; cf. also: Manojlovic, Peuple, P.361.

(95) Agathias, Historiarum, p.310; cf. also: bury, Hist of the L.R.E. p.p.305- 306.

(96) Berhier, Les Institutions, p.464.

سبقت الإشارة إلى مكانتهم في المجتمع البيزنطي[٩٧] وعلاوة على هذه العناصر الثلاثة، فقد أثبتت الأحداث أن هناك عناصر أخرى دعمت قوات بيليزاريوس، مثل فرق الحرس الإمبراطوري، وحرس الأسوار، والفرسان المتطوعين، وفرسان الملعب وفرسان الاسر ذات الخطوة. وسوف نتناول هذه العناصر بالدراية في حينه.

اتجه بيليزاريوس، مصطحبا معه جنده النظامين الثلاثمائة، وهؤلاء الحشد ايضًا، إلى خارج العاصمة، حيث تتفق المصادر على أنه اتخذ من قرية خيتو Chettus معسكرا له[٩٨] وكان أول ما قام به من عمل أن استخدم الفلاحين في حفر خندق واسع حول المعسكر، ثم أرسل العيون لاستطلاع أحوال قوات الهون بقيادة زابرجان، ثم أمر بإشعال النيران ليلا في أماكن كثيرة على بعض المنارات في السهل الذي أقام فيه معسكره حول قرية خيتو. كما أمر بقطع الأشجار المتناثرة حول هذه القرية، فهبت كتلة كثيفة من دخان النيران، ومن غبار الأرض. وكان بيليزاريوس يقصد من هذا تضليل الهون، وإخفاء النقص الذ كان يعاني منه في عدد رجاله وإيهام زابرجان بأن الجيش البيزنطي الذي يتصدى له جيش ضخم.[٩٩] على الرغم من نجاح هذه الحيلة في تضليل زابرجان ورجاله، حتى دب الخوف في قلوبهم، إلا أن هذا الأمر لم يدم طويلاً، وسرعان ما اكتشف جيش زابرجان أن الجيش البيزنطي صغير،

---

(97) Theophanes, Chronographia, p.361.

(٩٨) أوردها كل من مالالاس وثيوفان باسم خيتو XITOV بينما أورها أجاثياس باسم خيتتو XETTOV وكان أجاثياس قد نوه إلى أن بيليزاريوس قد عسكر برجاله في مدينة كيتفيكوس، ويبدو أن هذا قد حدث وهو في طريقه ليعسكر في خيتو، وقد ذكر أجاثياس نفسه هذه القرية لاسم خيتتو كما أسلفنا. أنظر:

Malalas, Chron,p.492; Theophanes, Chronographia, p.361; Agathias, Historiaum, p.312.

(99) Theophanes, Chronographia, p.361.

وأن لا قبل له بالتصدي لهم.[١٠٠]

وقد لوحظ أن رجال بيلزاريوس لم يعبئوا بالتفوق العددي لخصمهم، مثلما لم يعبئوا بظروفهم غير المواتية؛ بل كانوا واثقين من أنفسهم، ومن مهارتهم العسكرية. كما لاحظ بيليزاريوس هذا التفاخر بماضيهم وبجذورهم، فخشى عليهم من عاقبة الغرور فجمعهم وخطب فيهم قائلا[١٠١]. إنني لم آت إلى هنا لأشجعكم، لأن جيش الروم لا يحتاج إلى تشجيع من أجل مقاومة الهون الكوتريجوز لكني رأيت فيكم تعاليا يفوق الحد.. وأنتم تعلمون أن البرابرة يقلون عنا قوة، لكنهم يفوقوننا عددا[١٠٢]. ولا أحد يستطيع أن يتغلب على عدوه بقوة الذراع من دون تخطيط. وأنا بوصفي شيخا كبيرا، لا أملك في هذه المعركة سوى سداد الرأي وحين التخطيط ... [١٠٣] وعليكم أنتم أن تحافظوا على شجاعتكم، ولكن بحكمة حتى لا يُوردكم التهور موارد الهلكة..(١٠٤) وقد يعترض أحدكم على قولي هذا بأنه ليس بوسعه كبح جماع نفسه وتحمل إهانات البرابرة وتعدياتهم المهينة إلى أن يتمكنوا من الوصول إلى أسوار المدينة. ومع ذلك، فلا مناص من الحلي بالهدوء ورباطة الجأش[١٠٥]. وبذلك نعمد إلى لقاء العدو، ونحن واثقون بأنفسنا بعد أن تسلحنا بكل ما يلزم أن نتسلح به. ولا تنسوا أننا نحارب أناسا

---

(100) Agathias, Historiarum, p.313; cf. also: Bury, Hist of the L.R.E, p.306.

(١٠١) أورد المؤرخ أجاثياس هذه الخطبة في خمس صفحات كاملة، وقد فضل الباحث أن يبرز أهم فقراته بما يتناسب مع هذه الدراسة. كما فضل ذكرها في متن الموضوع حتى يكتمل سياق المعنى، والارتباط بين هذه الخطبة وبين الأحداث نفسها أنظر:

- Agathias, Historiarum, p.p.314- 318.

(102) Agathias, Historiarum, p.314.

(103) Agathias, Historiarum, p.315.

(104)Agathias, Historiarum, p.316.

(105)Agathias, Historiarum, p.317.

برابرة من دأبهم أن يهاجموا كاللصوص دون المواجهة، ولا علم لهم بفنون القتال الطويل الأمد. وها نحن قد اتخذنا استعداداتنا لمعركة طويلة، وقد وضعنا الآلات خارج الأسوار، ومن ثم فربما يتخلون عن عاداتهم المألوفة ويقررون الاشتباك معنا؛ ولذا فعليكم أن تلتزموا بما يمليه نداء العقل، وما تفتضيه الحكمة في تصرفاتكم، وبذلك سيعملون أن ما ننجزه بالتدريب والتخطيط أفضل بكثير مما ينجز بهجمة عابرة(١٠٦). والحق أن بيلزاريوس تلك، التي اقتطفنا بعضا منها، وقد وجدت صدى طيبا بين رجاله، واستحثت فيهم الروح التي كان يستهدفا بيليزاريوس من كلماته.

وبعد أن نمى إلى علم زابرجان حقيقة حجم الجيش البيزنطي، اختار بنفسه ألفين من فرسان الهون، ثم تحرك بهم لملاقاة بليزاريوس، الذي وصلته أخبار هذا التحرك، عن طريق استطلاعه، فوضع خطته على أساس الاستفادة ممن كان تحت إمرته من الرجال، فقسّمهم إلى ثلاث مجموعات.

وقد اختار للمجموعة الأولى نخبة من فرسانه بلغ عددهم مائتي فارس(١٠٧). من المسلحين بالتروس الصغيرة السماه Pelate، والتي فضّلها بيليزاريوس على التروس الكبيرة الضخمة التي قد تبطئ حركتهم(١٠٨)؛ ومن المسلحين بالسهام، حيث إن طبيعة معركته القادمة ضد زابرجان في أرض مكشوفة تحتم استخدام هذا النوع من السلاح(١٠٩) ومن المسلحين بالرماح

(106)Agathias, Historiarum, p.318.

(107)Agathias, Historiarum, p.319; cf. also: Bury Hist of the L.R.E., p.306.

(١٠٨) الترس هو سلاح دفاعي لحماية المقاتل من ضربات السهام والرماح والسيوف، وقد تعددت أحجامه واشكاله حسب اختلاف الاستخدام، وحسب حامله أما الترس الذي استخدمه فرسان بيليزاريوس، فكان قطره لا يتجاوز اثنتي عشرة بوصة. أنظر:

Leo vI, Tactica, col, 718; cf. also: Health, Armies, P.8.

(١٠٩) فالسهام سلاح فعال أتقن الجيش البيزنطي استخدامه، وحرصت القيادة البيزنطية على الارتقاء بالتدريب المستمر عليه، نظرا لسرعته مما يصعب توقعه، حتى أن العين المجردة

التي تعتبر من أهم الأسلحة البيزنطية(١١٠). وكانت خطة بيليزاريوس لهذه المجموعة من المقاتلين أن ينصبوا كمينا لقوات الهون بقيادة زابرجان، ولذا فقد جعلهم يختبئون في غابة على مقْربة من المكان الذي توقع أن يأتي منه هجوم الهون، وأمرهم أن يمطروهم بقذائف من السهام و الرماح حالما يطلق لهم إشارة متفق عليها(١١١) وكان بيليزاريوس يهدف من ذلك إلى اجبار صفوف العدو على التضام ليتجنب الرماح الموجهة منهم إلى جانبي جيش بيليزاريوس، فقد كان على يقين من أن حصرهم في المضايق يجعلهم لا يستفيدون من كثرة عددهم ويتعذر عليهم توسيع جبهة انتشارهم، ومن ثم يفقدون قيمة تفوقهم العددي، وهو ما كان يتميز به الهون. وقد استعان بيليزاريوس بالمشاة من الأرثيموي والنواميرا في مراقبة زابرجان في هذه المضايق.(١١٢)

كانت غير قادرة على رؤيته، وتستخدم السهام إما في الرمي في ميدان مكشوف أو فيما وراء الاسوار أو الحصون، أو من خلف الكمائن، وكان البيزنطيون يدهنون أحيانا أنصال سهامهم بالسم، مما يجعلها مميتة. أنظر:

Leo VI, Tactica, Cols, p.p.718- 726, col p.735.

(١١٠) الرمح من أهم الأسلحة التي استخدمها البيزنطيون، وربما يكونون قد أخذوه عن الجرمان حيث إن هناك من يفسر كلمة الجرمان بأنها تعني حملة الرماح (Javelin men). والرمح عبارة عن عود حديدي طويل له رأس حرية يطمن به، ويختلف طول الرمح وتكوينه حسب الاستخدام، وحسب حامله إذا كان فارسا، او من المشاة ، انظر: Leo VI, Tactica. Cols, p.722, p.p.734- 735; cf. also Oman, Art of War, p.188; Heath, Armies, p.8. راجع أيضًا: إبراهيم طرخان، تاكيتوس، ص١١٨.

(111) Agathias, Historiarum, p.319.

(١١٢) تذكر المصادر ن بيليزاريوس قد نجح في ذلك حتة أن رجال رابرجان اصطدموا بعضهم ببعض من كثرة تضامهم، أنظر

Agathias, Historiarum, p.p.319- 320; cf. also: Bury, Hist of the L.R.E, p.306.

أما المجموعة الثانية فقد كانت بقيادة بيليزاريوس نفسه، وتتكون من بقية بجاله النظاميين، وهم من الفرسان، ومن فالأرجح أن عددهم كان مائة فارس.(١١٣)

وأما المجموعة الثالثة فقد كانت من الدهماء، وهم غير مسلحين وقد قسمهم بيليزاريوس إلى قسمين: الأول: وهو الأكبر عددا، كان في المؤخرة، وكان عليهم إطلاق الصيحات العالية في أثناء المعركة، وإحداث جلبة بالكتل الخشبية التي حملوها لهذا الغرض. أما القسم الثاني فقد قرر بيليزاريوس أن يقف مع رجاله المائة في وسطهم، وأمرهم أن يتبعوه أينما ذهب، وذلك ليتظاهر بضخامة عدد رجاله.(١١٤)

وقد تم كل شيء كما خطط له بيليزاريوس؛ فما إنْ قدم الهون واقتربوا من الكمين الموجود في الغابة، حتى أطلق بيليزاريوس الإشارة المتفق عليها إلى حملة السهام والرماح، فأطبقوا على الهون من الجانبين، وحاصروهم بالسهام من كل جهة، حتى تزاحموا وتلاصقوا، بل اصطدم بعضهم ببعض، فلم يستطيعوا الدفاع عن أنفسهم، ولا استخدام قسيهم وسهامهم على نحو مؤثر، وذلك لقصر المسافة بين الجيشين.(١١٥) كما أنه ليم يعد هناك مجال للفرسان الهون، البالغ عددهم ألفين، للتحرك أو الإحاطة بالبيزنطيين، فهاجمهم بيليزاريوس مع رجاله هجمة قوية، أدت إلى قتل العديد من قوات زابرجان، وزاد من قوتها: أن رجال بيليزاريوس من الدهماء أخذوا يحدثون جلبة، وصياحا بما لديهم من آلات وعدة(١١٦)، فسيطر الرعب على رجال

(113) Agathias, Historiarum, p.320.

(114) Agathias, Historiarum, p.320.

(115)Agathias, Historiarum, p.319; Theophanes, Chronographia, p.362.

(116)Agathias, Historiarum, p.p. 320- 321; cf. also: Bury, Hist of the L.R.E, p.p.305- 306.

زابرجان من هذا الصوت الذي لا يصدر كما تصوروا إلا عن جيش جرار؛ ولم يكن الأمر كذلك بطبيعة الحال(١١٧).

وإزاء هذا الوضع أصبح هدف الهون، بمن فيهم زابرجان نفسه، هو الخروج من هذا المأزق والنجاة بجلدهم، وعندما واتتهم الفرصة استداروا ولاذوا بالفرار من دون نظام.(١١٨)

أم عن الخسائر في هذه المعركة فيبدو أن معظم خسائر الهون كانت في المؤخرة، على يد بيليزاريوس نفسه، فضلا عن خشائرهم أثناء عملية الانسحاب التي اتسمت بالفوضى(١١٩). أما الجيش البيزنطي فلم تحدد الروايات أرقاما لخسائره، ويؤكد المؤرخ المعاصر أجاثياس أن فرسان زابرجان قد أبدوت بعض المقاومة، وسببوا بعض الخسائر للبيزنطيين برميات سهامهم السريعة، ولكنه لم يحدد رقما لهذه الخسائر. ولكن من المؤكد أن الخسائر المادية كانت كبيرة، إذ إن المناطق التي هاجمها زابرجان قد تأثرت بشدة من الناحية الاقتصادية بسبب هذه الغارات.(١٢٠)

---

(117) Bury, Hist of the L.R.E, p.306.

(١١٨) وصف أجاثياس هذا الانسحاب غير المنظم، وكيف أن الهون تشتتوا، وكان كل فرد يهيم على وجهه لينجو بنفسه. انظر

Agathias, Historiarum, p.321.

(١١٩) لم يذكر المؤرخ أجاثياس أرقاما عن هذه الخسائر، فقد اكتفى بالقول " أنها كانت مذبحة عظيمة" بينما حددت الروايات الأخرى خسائر جيش الهون بأنها كانت أربعمائة نفس أنظر:
Agathias, Historiarum, p.321; cf. also: Bury, Hist of the L.R.E., p.306.

(١٢٠) يبالغ المؤرخ الإنجليزي بيوري حينما يقول "إنه لم يصب بيزنطي واحد بجرح مميت". فهذا يتناقض مع ما أورده المؤرخ المعاصر أجاثياس في هذا الخصوص. أنظر:
Agathias, Historiarum, p.321; cf. also: Bury, Hist of the L.R.E., p.306.
راجع أيضا : الباز العريني، الدولة، ص٧٧.

وهكذا تم صد الهون بفضل الاستراتيجية التي اتبعها بيليزاريوس، وبفضل مشاركة هؤلاء الرجال، فارتد زابرجان إلى ديكاتون على بعد ثلاثة أميال من ناحية الهيبدومون Hebdomon *بالقسطنطينية*(١٢١). وقد اختار زابرجان أن ينسحب إلى هذا المكان ليستجمع قواه، ثم يفكر فيما إذا كان سيستأنف القتال ذد الجيش البيزنطي، أم سيستكمل انسحابه إلى أوروبا، ومن ثم فإن توقفه في هذا المكان فرصة لتدبر أمره واتخاذ القرار المناسب، لأن هذا المكان يقع على طريق ايجناتيا Igntia وهو الطريق الوحيد الذي يصل أوروبا بالعاصمة البيزنطية.(١٢٢)

وقد لاحظ زابرجان، أي ديكاتون التي انسحب إليها، ومن خلال عيونه، أن هناك حراسا كثيرين عند أسوار القسطنطينية على استعداد لمواجهة أي خطر أو تهديد(١٢٣) لذلك تراجع زابرجان ومعه رجاله إلى معسكره قرية ميلانتياس، بالقرب من خيتو، ولكنهم سرعان ما تركوا معسكرهم هذا وولوا الأدبار، لاعتقادهم بأن رجال بيليزاريوس المنتصرين ما زالوا يتعقبونهم. ولم يكن الأمر كذلك، لأن بيليزاريوس لم يتعقبهم بناء على أوامر

---

(١٢١) وتبعد ضاحية الهيبدومون عن القسطنطينية باتجاه الجنوب الغربي لأكثر من ميلين على الشاطئ الأوربي للبحر الأسود. وعلى الرغم من أنها تقع خارج العاصمة إلا أنها كانت قبل القرن السابع الميلادي مركزًا لتتويج الإمبراطور، ثم انتقل منه إلى كنيسة أيا صوفيا في العاصمة بدءا من القرن السابع الميلادي. أنظر:

Theophanes, The Cronicl, p.8., p.52; cf. also: Yuonne, Le Bleus, p.509.

راجع أيضا: رانسيمان، بالحضارة، ص٦٩، ص ص ٢٢٣- ٢٢٤، بينز، الإمبراطورية، ص٨٠: راجع أيضا: ليلى عبد الجواد، القسطنطينية، ص١٤.

(١٢٢) يمتد هذا الطريق من دراخيوم إلى سلا نيك ثم يصل إلى القسطنطينية. أنظر: رانسيمان، الحضارة، ص٢٥٣.

(123) Manojlovic, le Peuple, p.626.

صادرة من الإمبراطور البيزنطي جستنيان[١٢٤] فوصل رجال زابرجان إلى ضاحية استراتونيكوس Strat-Onicus، ولكنهم وجدوا بها حامية عسكرية قادرة على حماية هذه الضاحية، فتراجع مرة أخرى إلى معسكره الأصلي بالقرب من ميلانتياس. وكان ذلك قبيل أعياد الفصح عام ٥٥٩م. فمن الثابت أن جستنيان لم يعمد إلى مواجهة الهون إلا بعد الانتهاء من احتفالات هذا العيد، حين بدأ يفكر في كيفية التعامل مع زابرجان، وبدأ فعلا في إعادة بناء الأسوار الطويلة. وهنا تؤكد المصادر أن بناء الأسوار تم بمشاركة المواطنين.[١٢٥]

وهكذا انسحب زابرجان بقواته من الهون إلى معسكره، بعد أن فَرّ من أمام بيليزاريوس. ولم يكن هذا فقط هو مصير هجوم قوات الهون بقيادة زابرجان على تراقيا والمناطق المحيطة بالقسطنطينية، إذ لم يكن خط قوات زابرجان في الجيش الثاني، التي كانت قد أرسلت إلى خرسون (سباستيبول) جنوب غرب شبه جزيرة القرم بأفضل من ذلك، نظرا لفشلهم في إحداث ثغرة في السور الذي كان يسد الطريق إلى المناطق الواقعة خلف، وذلك بفضل بسالة القائد البيزنطي جرمانوس Germanus في خرسون[١٢٦]، وبسالته في الدفاع عن خرسون بصفة عامة، وعن السور بصفة خاصة، بمعاونة فرقة الحرس الإمبراطوري المكلفة بمهمة الدفاع عن مثل هذه الأسوار. ذلك أنه علم بأن الهون صنعوا خمسن ومائة قاربا من الغاب المشدود بعضه إلى بعض في شكل حزم، وكان كل قارب يسع أربعة رجال،

---

(124) Bury, Hist of the L.R.E., p.306.

(125)Theophanes, Chronographia, p.p.361- 362.

(١٢٦) هذا القائد من مواطني بريما جستنيانا (Prima Justiniana) ونظرا لكفائته، فقد عينه جستنيان قائدا للقوات البيزنطية في خرسون، وكان عند حسن طن الإمبراطور. أنظر: Bury, Hist of the L.R.E., p.306.

ثم أبحر رجال هذه القوارب وعددهم ستمائة رجل سرا من خليج اينوس Aenus *قاصدين الساحل الجنوبي* الغربي لمدينة خرسون(١٢٧) وتقول المصادر إن جرمانوس قد أحسن الاستفادة من هذه الفرصة ، فجّهز في الحال عشرين سفينة، وزودها بالرجال المسلحين، وتمكن من مواجهة هذه القوارب، وأبادها بمن فيها. ولا يخلو هذا القول من المبالغة بطبيعة الحال(١٢٨). وقد أدى النجاح الذي أحرزه جرمانوس إلى خروج البيزنطيين من رجال فرق الحرس الإمبراطوري من خلف السور لكي يهاجموا الهون، الذين يئسوا من طول مدة المصادر، وانهارت معنوياتهم بعد هزيمة أسطولهم من الغاب، فتخلو عن مواصلة في الحصار، وتراجعوا منسحبين إلى المعسكر القريب من من ميلانتياس، ليلحقوا بزابرجان نفسه الذي كان قد سبقهم إليه(١٢٩). أما الجيش الأول من قوات زابرجان، التي كان قد أرسلها إلى شبه جزيرة البلقان معتمدا على ضعف حاميتها العسكرية في تساليا، فقد عاد هو أيضا دون نجاح، إذ لم يُجاوز قلعة ترموبيلاي Thermopylae حيث حالت بسالة حامية هذه القلعة دون تقدمه على عكس ما كان يتمنى.(١٣٠)

وهكذا مُني الهون الكوتريجور تحت قيادة زابرجان بخيبة أمل في نقاط هجومه الثلاث، بعد أن لقوا مقاومة شديدة. فقد تحملت تراقيا عبء المعاناة والدفاع عن المناطق لامحيطة بالعاصمة والمؤدية إليها، وذلك بمعونة وخبرة

---

(١٢٧) ويقع هذا الخليج بالقرب من مصب نهرهبروس (Hebrus) أنظر : Bury, Hist of the L.R.E., p.307.

(128) Agathias, Historiarum, p.301- 303.

ويقول المؤرخ مالالاس إنه لم ينج واحد من البرابرة. أنظر:

Malalas, Chron, p.p.391- 393; cf. also: Bury, Hist of the L.R.E., p.307.

(129) Bury, Hist of the L.R.E., p.307.

(130) Agathias, Historiarum, p.301.

بيليزاريوس؛ كما تحمل أهالي خرسون ومنطقة مقدونيا ورجال فرق الحراسة في شبه جزيرة القرم كثيرا من المعاناة، أثناء صمودهم بقيادة جرمانوس للحصار الذي فرضه رجال زابرجان عليهم، مثلما تحمل أهال تساليا، في شبه جزيرة البلقان عبء المقاومة بقيادة الحامية العسكرية التي تمركزت في قلعة ثرموبيلاي ضد رجال زابرجان. ومن ثم كتب على قوات الهون التي توزعت على هذه الجهات، أن تتقهقر وهي تجر أذيال الخيبة إلى ما وراء نهر الدانوب. ويقول بيوري أن الإمبراطور جستنيان افتدى الاسرى البيزنطيين بمبلغ كبير، ولكن لم يحدد ملابسات هذا الافتداء، وتاريخه وظروفه. ومما يزيد من غموض هذه الرواية ان المصادر العاصرة، وفي مقدمتها أجاثياس، لم تتناول هذا الموضوع.(١٣١)

ويتراجع الهون الكوتريجور بقيادة زابرجان إلى ما وراء الدانوب، يأتي دورجستنيان الحاسم في القضاء على هذا الخطر. فإذا كان بيليزاريوس قد قاد هذه المقاومة، وحقق نصرا عسكريا في الميدان، فإن جستنيان قد اثبت أنه لا يزال قادرا على تحقيق النصر، حتى ولو بالسياسة والدهاء، وإليه يُعْزَي الفضل في مسألة القضاء التام زابرجان وقبيلة الهون الكوتريجور.

كما سلف القول، فإن بيليزاريوس لم بتعقب زابرجان بعد أن هزمه، تنفيذا لأوامر جستنيان الذي نصب لهم بنفسه شركا ليقضي عليهم، وذلك بأن بعث برسالة إلى ساندیكل، ملك قبيلة الهون الأوتيجور، الذي كانت تربطه به علاقة صداقة متبادلة، زاد من عمقها الهدايا التي كان يرسلها إليه جستنيان دائما(١٣٢). وأبلغه في رسالته أن الكوتريجور بقيادة زابرجان قد غزوا تراقيا

(131) Bury, Hist of the L.R.E., p.307.

(١٣٢) دأب جستنيان على منح بعض الملوك إعانات مالية منتظمة ليكسب صداقته ويؤمن حدودهم مع دولته، أنظر. Finlay راجع أيضا الحاشيتين ٦٠، ٦١ من هذه الدراسة.

واستولوا على الذهب الذي كان يعتزم أن يمنحه للأوتيجور. وبما جاء في الرسالة[١٣٣]. ... ما كان أسهل أن نقضي عليهم تماما، أو نردهم على أعقابهم إن نرسلهم صفر اليدين، ولكننا لم نفعل شيئا من ذلك لأننا أردنا أن نختبر مشاعركم، وأن نعرف ما إذا كنتم شجعان وحكماء، ولا تقبلون أن يستولى الآخرون على ما يخصكم، فأنتم تخسروا؛ وما عليكم إلا أن تعاقبوا العدو وتستردوا منه حقوقكم السلبية بحد السيف كما أننا قد أرسلناها غليكم معهم ". ولا شك في أن الصداقة بين الإمبراطور البيزنطي والزعيم الهوني، مكنت جستنيان من فهم شخصية ساندیكل، وكيفية التعامل معه، حتى أنه هدده في رسالته بأن يتحول بصداقته إلى الكوتريجور، إذا ثبت له أن ساندیكل، من الجبن بحيث يقبل هذه الإهانة. ولافعل حقق جستنيان ما كان يهدف إليه، إذ اشتعلت نار الحرب بين الأوتيجور والكوتريجور، واقتتل بنو الجنس الواحد، وتبددت قواهما العسكرية، وخارت قوى شعبيهما.[١٣٤] ودخلا في إطار الدول الأخرى، وفقدا هويتهما، وإن لم يختفيا كلية. وفي رأي المؤرخ أجاثياس أن نقطة التحول التي أدت بهما إلى هذا المصير، قد بدأت منذ بداية غزو زابرجان للقسطنطينية.[١٣٥]

ومن مجمل الأحداث السابقة، نجد أنه قد سبق لجستنيان، عندما كان

---

(١٣٣) فضل الباحث إيراد نص الرسالة في متن البحث حرصا على سياق المعنى، وارتباط الاحداث، وقد اختار الباحث أهم فقرة من فقراته التي أوردها المؤرخ ثيوفان. أنظر:
Theophanes, Chronographia, p.p.363- 365.

(134) Theophanes, Chronographia, p.p.366- 374; cf. also: Bury, Hist of the L.R.E., p.p.307- 308.

(١٣٥) عن هذا الرأي: أنظر . .Agathias, Historiarum, p.321
ومما يجدر ذكره أن أخبار القتال بين شعبي الهون، ونهايتهما تقع في الصفحات الأخيرة من مصنف أجاثياس وتنتهي عند صفحة ٣٣٥. وللمزيد راجع أيضا:
Theophanes, Chronographia, p.357.

يدافع عن أسوار العاصمة ضد زابرجان قبيل استدعائه بيليزاريوس، أن استعان ببض الفلاحين الذين يعملون في ضواحي القسطنطينية، وببعض رجال فرقة الاسكلارية، وآخرين من فرقتي الأكسكوبيتر والروتكتورات، ووحدة المشاة المعروفة باسم النواميرا، هذا علاوة على رجال مجلس السناتو(١٣٦). وعندما تصدى بيليزاريوس لزابرجان، اعتمد على ثلاثمائة من الفرسان، كان بعضهم من فرسان الجيش، وبعضهم من فرسان الإمبراطور، والحق أن عناصر الدفاع التي تصدت بنجاح لهذا الخطر الذي هدد القسطنطينية واسوارها وضواحيها قد تعددت وتنوعت، ويمكن القول إن القوات التي ساهمت في هذه المهمة تنتظم في ثلاث فئات، بحسب مهامها على النحو التالي:

أ) قوات الدفاع عن أبواب المدينة والأسوار الثيودوسيوسية والأحياء المجاورة، وقد شارك فيها فرق الاسكلارية والبروتكتورات والارثميوي والمشاة والاكسكوبيتر والاستراتيوتاس.

ب) قوات الدفاع عن اسوار وأبراج القسطنطينية، وقد شارك فيها رجال حرس الاسوار، أو الحرس المدني.

ج) قوات حاربت مع بيليزاريوس في قرية خيتو، وقد قامت بتدعيم القوة الاصلية المكونة من الثلاثمائة فارس، وقد شارك فيها الفرسان المتطوعون، وفرسان الأسر ذات الخطوة والفلاحون، بالإضافة إلى مساهمة الأهالي الذين تبرعوا بخيولهم لبيليزتريوس، علاوة على الدور المعنوي لوجود رجال السناتو بين هذه الجموع.(١٣٧)

---

(136)Theophanes, Chronographia, p.361.

(137)Manojlovic, le Peuple, p.p.625- 628.

وقد سبقت الإشارة إلى أن قوة بيليزاريوس الاصلية المكونة من ثلاثمائة فارس كانت تضم فرسان الجيش، وفرسان الإمبراطور.

وبإمعان النظر نجد أن غالبية العناصر التي قاومت هجوم الهون بقيادة زابرجان قد ضمت ثلاث مجموعات يمكن تصنيفها على النحو التالي: المجموعة الأول وهي قوات نظامية مقاتلة، تكونت من ثلاثمائة فارس، ضمت فرسان الجيش، وفرسان الإمبراطور. والمجموعة الثانية وهي قوات نظامية غير مقاتلة، وقد وصفت بالنظامية لأن عملها كان يتم في إطار الدولة، ولأن معظمها من فرق تابعة للدولة، وهي فرق الحراسة الإمبراطورية، ولكنها غير مقاتلة، فلم تكن من رجال الجيش محترفي القتال. وضمت هذه المجموعة الاسكلارية والبروتكتورات والاريثموي والمشاة والاكسكوبيتر والاستراتيوتاس. والمجموعة الثالثة، وهي قوات غير نظامية، وقد ضمنت السناتو وحرس الاسوار أو الحرس المدني، وفرسانا متطوعين، وفرسان الملعب، وفرسان الأسر ذات الحظوة، والفلاحين. وهكذا تجمعت كل هذه العناصر تقاوم هذا الخطر، ولتصنع موقفا ذا مغزى في صفحات التاريخ البيزنطي.

وسوف نوضح الآن دور كل عنصر من هذه العناصر، من واقع التقسيم المذكور حتى تتضح حقيقة الدور الجماعي لهذه العناصر بمختلف طوائفها واتجاهاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية. في مقاومة الهون عام ٥٥٨- ٥٥٩م، ربما كان سبب تسمية هذه المقاومة بالمقاومة الشعبية، أنها تجمعت بين مختلف فئات السكان الذين عاشوا في القسطنطينية وضواحيها. وقد سلف القول إن القوات المتقاتلة ضمت نوعين من الفرسان، هما :

أ) **فرسان الجيش:** هؤلاء كانوا قد قاتلوا مع بيليزاريوس في إيطاليا، وكانوا في الاصل من فرسان الخيالة الثقيلة في الجيش البيزنطي(١٣٨). ولم يترددوا

(١٣٨) رانسيمان، الحضارة، ص١٧.

حينما طلب منهم بيليزاريوس المشاركة معه في مواجهة الهون، وقد حصل بعضهم على الخيول من الإمبراطور نفسه، وبعضهم من المواطنين الذين تبرعوا بها. وهذا يبرهن على أن هناك مشاركة من طبقات المجتمع البيزنطي كافة(١٣٩).

ب) **فرسان الإمبراطور:** وهؤلاء استأذنوا الإمبراطور، وخرجوا مع بيليزاريوس لمواجهة الهون، وكانوا يمثلون شريحة متميزة في المجتمع البيزنطي؛ إذ كانوا من الأغنياء(١٤٠). أما القوات النظامية غير المقاتلة. ضمت رجالاً من ست فرق تابعة للحرس الإمبراطوري وهي :

١- رجال من فرقة الاسكلارية (Scholae)(١٤١)، التي تعد أهم فرق الحراسة الإمبراطورية، ومهمتها الاصلية هي الدفاع عن العاصمة وعن القصر الإمبراطوري، والخدمة في الموكب الرسمي والعروض العسكرية(١٤٢) وقد سجلت أسماء رجال هذه الفرقة في قوائم الاسكلارية، وكانوا صفوة الفرسان، سواء كانوا من البيزنطيين أم من المرتزقة(١٤٣). وعلى الرغم من أن العمل الاصلي لرجال هذه الفرقة كان بعيدًا عن القتال الفعلي، إلا أنها كانت تشارك فيه إذا تولى

---

(139)Theophanes, Chronographia, p.p.366- 374; cf. also: Manojlovic, Le Peuple, p.361.

(140) Diehl Marcais, Moyen Age, p.404..١٧ راجع أيضا: رانسيمان، الحضارة، ص

(١٤١) ترجع تسميتها من مقر غقامتها في القصر، ويطلق عليها قدامة بن جعفر اسم الاسخلارية. أنظر: قدامة بين جعفر، الخراج، ص٢٥٦، راجع ايضا: زبيدة عطا، المقاتل، ص١٠٩.

(142) Constantine Porphyr, Se Cer, p.p.49- 55; cf. also: Manojlovic, Le Peuple, p.625; Guilland, Scholes, p.5.

(143) Brehier, les Institution, p.464, Ensslin; The Enperor, p.39, Heath, Armies, p.10.

الإمبراطور قيادة المعركة بنفسه، وقد حدث ذلك في بواكير حكم جيستنيان، ولذلك فإنه زاد عدد افراد هذه الفرقة من ثلاثة آلاف وخمسمائة جندي غلى خمسة آلاف وخمسمائة جندي(١٤٤) ويمكن القول أن ارتباطهم الشديد بالإمبراطور افقدهم مهارات قتالية، عندما لم يعد جيستنيان يظهر في المعارك الحربية، وشيئا فشيئا اصبحت هذه الفرقة غير مدربة، ولا علم لها بفنون الحرب(١٤٥) وبالتالي لم تعد تبعث الثقة في نفوس المواطنين، ومع ذلك فقد استعان بهم بيليزاريوس، ومن قبله جستنيان على مواجهة الهون، حتى أنهم قاوموا الهون في الأحياء المجاورة للقسطنطينية، وصدوهم عن ابوابها، وعن الأسوار الثيودسيوسية، كما شارك رجال من هذه الفرقة ايضا مع بيليزاريوس في المعركة التي دارت ضد الهون عند قرية خيتو.(١٤٦)

٢- قوات من فرقة البروتكتورات Protectors، وهي أقل مرتبة من الفرقة السابقة(١٤٧) وقد شاركت مع بيليزاريوس في الدفاع عن سور ثيودوسيوس، وأيضا عن أبواب العاصمة، كما شاركت مع فرق الاسكلارية، تحت قيادة قائد قوات العاصمة، وبالتنسيق مع القائد بيليزاريوس، في تأمين وحراسة اسوار العاصمة ضد الهون(١٤٨). وقد

---

(144)Agathias, Historiarum, p.310; cf. also: BuryAdmin System, p.49; Heath, Armies, p.10

(145)Brehier, les Instition, p.336. راجع أيضا: بينز، الإمبراطورية، ص١٧٤

(146)Theophanes, Chronographia, p.361; cf. also: Brehier, les Institution, p.464.

(147)Theophanes, The Chronicle, p.125.

(148)Theophanes, The Chronicle,p.125. ونظرا لتطابق مهام الفرقتين، فالمرجح أن تكون فرقة البروتكتورات قد اندمجت مع فرقة الاسكلارية، وربما تم ذلك في القرن الثامن الميلادي. أنظر:

Bury, Admin System, p.p.55- 56; Scholes, p.15.

ضمت هذه الفرقة رجالاً من مختلف طبقات المجتمع البيزنطي، كانت تضم منذ تأسيسها رومانًا وجرمانًا، كما التحق بها أبناء الضباط، وأفراد من مختلف الطبقات الغنية والمتوسطة، ومن أبناء الأسر النبيلة أيضا.(١٤٩)

٣- وثالث العناصر التي شاركت في هذه المقاومة، خاصة في الدفاع عن أبواب القسطنطينية، هم رجال المشاة (الأرثيموي)(١٥٠). ومن الخصائص الاجتماعية لهذه المجموعة أن معظمهم من فقراء البيزنطيين(١٥١). وقد اختلف مهامهم كثيرًا عن مهام أفراد الفرق الأخرى، كما اختلف تسليحهم عن تسليح الفرسان(١٥٢)، كانت التكليفات التي تناط بهم بعيدة عن الخطوط الأمامية، مثل العمل في الأماكن الوعرة أو الممرات، أو المخاضات النهرية(١٥٣). وقد أحسن بيليزاريوس استخدامهم، عندما كلفهم بمهمة السيطرة على جوانب المنطقة التي نصب فيها الكمين لقوات زابرجان، وكان قد سبق له أن استخدامهم فيتحصين معسكره بحفر الخندق، وذلك بمشاركة الفلاحين.(١٥٤)

---

(149)Theophanes, The Chronicle, p.125. ; cf. also: Ensslin, The Emper or, p.295.

راجع أيضا: بينز، الإمبراطورية، ص١٦٩.

(150)Theophanes, Chronographia, p.p.361- 363.

(151) Heath, Armies, p.20.

(152) Ensslin, The Emperor, p.43.

(153) Sherrard, Byz, p.85.

(154)Theophanes, Chronographia, p.361; cf. also: Sherrard, Byz, p.85.; Manojlovic, le Peuple, p.626.

٤- فرقة المشاة (النواميرا) Numeri وقد شاركت في الدفاع عن أسوار القسطنطينية، وعن أبوابها(١٥٥) ولما كانت مهمتها الأصلية هي المساهمة في الدفاع عن الاسوار، وعن القصر الكبير، وكذلك خدمة القصر في الوقت نفسه، فقد كانت تُعدُّ من فرق الحراسة الإمبراطورية المهمة المقيمة في العاصمة(١٥٦)ولعل هناك تشابهًا بين مهام هذه الفرقة وبين مهام فرقتي الاسكلارية والبروتكتورات منالمشاة، وكانوا من فقراء المجتمع البيزنطي، وقد اختلف تسليحهم عن تسليح، إلا أن فرقة النواميرا أقل مرتبة منهما؛ خاصة في المستوى الإجتماعي؛ فالنواميرا هاتين الفرقتين. ويمكن القول إن مشاركة رجال النوميرا في المقاومة ضد الهون بقيادة زابرجان، جاءت بعد أمر جيستنيان بأن تنضم فرقة النواميرا إلى الاسكلارية والبروتكتورات، وكان قد تأكد من انهيار مستواهما القتالي(١٥٧) ويؤكد هذا ما أورده المؤرخ ثيوفان من أن النوميرا كانت ضمن القوات المدافعة عن القسطنطينية ضد الهون عام ٥٥٨م(١٥٨).

٥- أما خامس العناصر التي شاركت في المقاومة ضد خطر الهون فهي

---

(155) Gulland, Les Noumera, p.415.

(156) Heath, Armies, p.13; Guilland, Les Noumera, p.412.

(157) Guilland Les Numbera, p.412.

(158)Theophanes, Chronographia, p.361; cf. also: Manojlovic, Le Peuple, p.626.

يلاحظ أن هذا التأكيد الذي أورده ثيوفان، يؤكد خطأ ما يذهب إليه البعض من أن فرقو النوميرا تكونت في القرن الثامن الميلادي. وللمزيد أنظر: Guilland Les Numbera, p.412.

رجال حرس الاكسكوبيتر EXOUBITOPR أما رواية مشاركتهم في هذه المقاومة فواضحة عند كل من المؤرخ مالالاس و المؤرخ ثيوفان، أكثر من وضوحها عند المؤرخ أجاثياس(١٥٩) وربما يرجع هذا الخلاف إلى حداثة تكوين هذه الفرقة من فرق الحرس الإمبراطوري، إذ يقال إنه عهد إليها أمر خدمة البلاط البيزنطي ابتداء من النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي(١٦٠)، ثم أصبحت- بمرور الوقت- من فرق الحرس الإمبراطوري، وساهمت في أعمال حراسة القصر الإمبراطوري، والخدمة في الموكب الرسمي، ومصاحبة الإمبراطور(١٦١). وكانت مشاركة رجال الإكسكوبيتر إيجابية في المقاومة التي أبوها مع بيليزاريوس ضد الهون، خاصة أنهم كانوا بارعين – بوصفهم فرسانًا- في التنقل بين القسطنطينية وضواحيها وبالعكس، بخفة وسرعة حققت التنسيق بين جميع عناصر المقاومة البيزنطية في مختلف أماكن وجودها.(١٦٢)

ومن الأمور التي تسترعى النظر، وترتبط بالمكانة الاجتماعية لرجال هذه الفرقة، أن معظمها كان من الارستقراطية المتميزة في المجتمع البيزنطي. كما أنها بمرور الوقت، ارتبطت بحزب الخضر، مما يوضح

---

(159) Malalas, Chron, p.p.489- 496; Theophanes, Chronographia, p.p.359- 365, Theophanes Chronographia, p.p.359- 365.

(160)Theophanes, Chronographia, p.p.359- 365.

راجع أيضا: زبيدة عطا، المقاتل، ص١٠٩، حيث تطلق عليهم اسم الديادية (أي الحراس)

(161) Bury, Admin System, p.57; Ensslin, The Emperor, p.39.

(162) Constantine Porphyr, De Cer, p.49; cf. also: Bury, Hist of the L.R.E., p.227; Heath, Armies, p.p.49- 50.

أمرين؛ الأول: هو مشاركة طبقات المجتمع البيزنطي بمختلف إنتماءاتها الاجتماعية والاقتصادية في المقاومة، والثاني: هو مشاركة الحزبين في هذه المقاومة، مما يؤكد انها كانت- كما ذكرنا- مقاومة شعبية(١٦٣)، خاصة وأن الحزب كان- لفترة من الزمن- حزب المعارضة، وقد ساد اعتقاد بأن نسبة كبيرة منه العامة، ولكن هذه الأحداث اثبتت أن هذا الأمر قد تلاشى، وأن عامة الناس من الحزبين قد شاركت في المقاومة، وقد ساد الوفاق بين طبقات المجتمع، حتى بين قياداتها.(١٦٤)

٦- أما آخر عناصر القوات النظامية غير المقاتلة التي شاركت في المقاومة البيزنطية ضد الهون عام ٥٥٨- ٥٥٩م. فهي فرقة الاستراتيوتاس، وهي فرقة عسكرية، معظم جنودها من التراقيين، والاياللليريين، لذلك أطلق عليهم سكان الإمبراطورية في لغتهم الدارجة اسم "جنود رومان". وقد احتلت هذه الفرقة مكانة رفيعة، إذ كانت ترافق الإمبراطور في الحملات، كما كان الإمبراطور يستعين بها أحيانًا على قمع الثورات، أو صد هجمات المعتدين، خاصة في الأماكن التي كانوا يقيمون بها. من هنا تأتي دلالة مشاركة هذه الفرقة في هذه المقاومة. فعلى الرغم من أنها لم تكن مقيمة في العاصمة، إلا أن الكثير من أفرادها شاركوا في الدفاع عن ابواب العاصمة، وعن أسوار ثيودروسيوس، وعن ضواحي العاصمة هذا علاوة على دفاعهم عن موطنهم الاصلي. وهناك آراء تؤكد أن بعض هؤلاء الرجال الذين

(163)Constantin Porohyr, De Cer, p.p.49- 50.

(١٦٤)وسام عبد العزيز دراسات، ص٤٧.

شاركوا مع رجال الفرق الأخرى المقيمة في العاصمة، أتوا من أجل المشاركة من تلقاء أنفسهم.(١٦٥)

أما عن المجموعة الثالثة من القوات غير النظامية التي تصدت للهون، فهي قوات تبرعت بالمشاركة في المقاومة الشعبية البيزنطية عامة، والتي تكونت لدعم القوة الأصلية المؤلفة من الثلاثمائة فارس بقيادة بيليزاريوس في الأصل. ومن المؤكد أن المهام القتالية لهذه المجموعة (الثالثة) كانت في قرية خيتو حيث دارت المواجهة بين بيليزاريوس وزابرجان.

وقبل الحديث عن عناصر هذه المجموعة. تجدر الإشارة إلى أن رجال مجلس السناتو قد شاركوا في مواجهة زابرجان مرتين، الأولى بأمر من جستنيان نفسه أثناء الدفاع عن أسوار ثيودوسيوس، وقد ذكر المؤرخ ثيوفان أن كل أعضاء مجلس الشيوخ تجمعوا للدفاع عنها؛ والثانية تحت قيادة بيليزاريوس(١٦٦) وغذا كان ثمة اختلاف في عدد المشاركين في المرة الأولى عن الثانية، إلا إن ما نستنتجه هو الاعتراف بما لرجال هذا المجلس من أهمية في رفع الروح المعنوية لرجال المقاومة الشعبية البيزنطية. ولئن لم تجر العادة بدخول رجال السناتو حلبة القتال ضد الأعداء، إلا أن الباحث قد أرتأى الحديث عنهم هنا في صدر تناول عناصر المجموعة الثالثة، وهي التي تضم القوات النظامية ؛ لأنه من المؤكد أنهم خرجوا للمساهمة في المقاومة ضد الهون بقيادة زابرجان، ووضعوا أنفسهم تحت تصرف جستنيان ثم بيليزاريوس، مما يوضح أن القيادة البيزنطية لم تألُ جهداً في الاستفادة بكل

(165) Ensslin, The Emperor, p.p., 295- 296.

(166)Theophanes, Chronographia, p.631.

فرصة سانحة لصد هذا الخطر، فكان اللجوء هكذا إلى رجال السناتو من أجل شد أزر المقاومة الشعبية. وقد سلفت الإشارة إلى دور مجلس السناتو في توجيه الشعب، ودور هذا التوجيه في الحياة السياسية للإمبراطورية البيزنطية(١٦٧). بما كان لهم من مكانة ونفوذ وبريق. ومن ثم فقد كان لمجرد وجودهم مع هذه العناصر أثناء المقاومة تأثيره الإيجاب، كما أنه يعبر عن التلاحم بين عناصر المجتمع البيزنطي بكل مستوياته واتجاهاته، وهو يعني تجسيدًا لمعنى المقاومة الشعبية. غير أنه ليس معروفا على وجه الدقة كيفية انتشارهم وعملهم بين هذه الحشود التي تصدت لغزو زابرجان.(١٦٨)

أما عن تلك المجموعة من القوات التي وصفت بأنها "قوات غير نظامية" فقد كانت تضم خمسة عناصر على النحو التالي:

١- رجال حرس الأسوار: وقد شاركوا بالفعل في مهمة الدفاع عن اسوار وأبراج القسطنطينية ضد هجوم زابرجان عام ٥٥٨م(١٦٩) وكان يطلق أحيانا، على رجال هذا الحرس اسم الحرس المدني، ولكن الأرجح أن ÷ذه الازدواجية سببها حرص المصادر على عدم الخلط بينهم وبين حرس أبواب العاصمة، وكان يضطلع بمهمة الحراسة الأرثيموي من رجال المشاة(١٧٠).

وهنا تجدر الإشارة إلى تسمية أخرى ارتبطت بالأحزاب السياسية في بيزنطية، وهي "الحرس الوطني" وقد سلف القول إن الحكومة البيزنطية جعلت لحزبي الزرق والخضر وظائف عامة مثل حراسة العاصمة،

(167) Ostrogarsky, State, p.p.60- 62; Bury, Admin System, p.105.

(١٦٨) رانسيمان، الحضارة، ص٧٧- ٧٨.

(169) Yvonne, le Bleus, p.628.

(170)Theophanes, Chronographia, p.p.361- 363.

والمشاركة في إصلاح أسوارها، وقامت بهذا الدور جموع من الشعب بصفتها حرسًا وطنيًا(١٧١). سجلت أسماء افراده في قوائم، وأحيانًا كانوا يحملون السلاح بإذن من الإمبراطور لمواجهة الأخطار الخارجية، ويمكن أن يطلق عليهم "ميليشيات مسلحة" وقد رأينا هذا الأمر في أحداث المقاومة الشعبية ضد الهون ٥٥٨م. وغذا كان ذلك يعكس مظهرًا من مظاهر التلاحم بين طبقات المجتمع البيزنطي، والتوافق بين الحزبين، فهو أيضا من مظاهر التعاون بين الجيش والشعب من أجل تدعيم وحفظ وحدة الدولة.(١٧٢)

٢- الفرسان المتطوعون: وقد جاء هؤلاء الفرسان ليتعاونوا مع بيلزاريوس على صد هجوم الهون، وكان بعضهم من ضواحي العاصمة وبعضهم الآخر من حزب الزرق. ولعل في تسميتهم بالمتطوعين من قبل المصادر التاريخية أبلغ دليل على مشاركتهم في المقاومة الشعبية التي نتحدث عنها.(١٧٣)

٣- فرسان الملعب: وهم فرسان الهيبدروم أو المضمار. ولكن لا يمكن الجزم بأن الذين شاركوا مع بيليزاريوس في صد زابرجان هم سائسوا خيول الهيبدروم، أم، أم سائقو مركبات الهيبدروم، أو أشخاص مسلحون من ديمات الملعب. وما يزيد من صعوبة التحديد أن هناك من يرى أنه كان للهيبدروم فرقة فرسان، تتكون من فرسان مدربين، ومهما كان الخلاف

---

(171)Ostrogarsky, State, p.61.

(172) Manojlvic, le Peuple, p.p.623- 625. راجع أيضا : الباز العريني، الدولة، ص٥٩.

(173)Manojlvic, le Peuple, P.626; Yvonne, le Bleus, p654

على نوعية المشاركة من فرسان الملعب، فإن مشاركتهم ثابتة من خلال هذه الآراء ذاتها، ومن خلال ما أوردته المصادر البيزنطية صراحة. وفي ذلك أكبر دليل على مشاركة الأحزاب السياسية في هذه المقاومة الشعبية ضد الغزو الذي شنه الهون على القسطنطينية عام ٥٥٨ – ٥٥٩.(١٧٤)

٤- فرسان الاسر ذات الخطوة أو المكانة العالية: وعلى الغرم من قلة المعلومات المتوافرة عن الجهة التي كان يتبعها هؤلاء الفرسان، غلا أن التسمية التي أطلقت عليهم، وتأكيد المؤرخ ثيوفان صراحة على مشاركتهم لقوات بيليزاريوس في ضد هجوم الهون بقيادة زابرجان، يعني أنهم من أغنياء ونبلاء المجتمع البيزنطي، بل ومن أصحاب النفوذ القوى أيضا، وأنهم خرجوا لمشاركة طبقات الشعب، كبيرة وصغيرة. في مقاومة هذا الغزو(١٧٥). ويرى الباحث أنه علاوة على رغبتهم في مشاركة بني وطنهم في هذه المقاومة، فربما كانت هناك دوافع أخرى حثتهم على المسارعة في المشاركة، مثل استعراض مهارتهم القتالية، وتحقيق بطولة تزيد من رفعة الأسر التي ينتمون إليها. وقد ضرب جستنيان نفسه المثل عندما وضع خيوله تحت تصرف بيليزاريوس، حتى أن المؤرخ ثيوفان يقول إن بيليزاريوس استولى على جميع الخيول التي بحوزة جستنيان(١٧٦) وقد أعقب ذلك مساهمة فرسان الإمبراطور، الذين استأذنوه وانضموا إلى

(174)Theophanes, Chronographia, p.362; cf.also: Manohlovic, p.p.626-627.

(175)Theophanes, Chronographia, p.362.

(١٧٦) وبالطبع يفهم من هذه الصياغة أن ثيوفان يريد أن يوضح أن الإمبراطور وضع الخيول الإمبراطورية بأكملها تحت تصرف قائده المخلص بيليزاريوس. أنظر: Theophanes, Chronographia, p.361

بيليزاريوس، ثم مساهمة المواطنين بخيولهم وتقديمها لرجال بيليزاريوس، الذين لم يكن لديهم خيول. فلعل كل هذه المواقف قد أثارت في نفوس فرسان هذه الاسر، الرغبة القوية في المسارعة غلى المشاركة الشعبية لإنقاذ عاصمة دولتهم من خطر الهون.

٥- العنصر الخامس: عن عناصر المجموعة غير النظامية التي شاركت في المقاومة ضد الهون، هم ذلك الحشد الكبير من الفلاحين، الذين تعرضت ممتلكاتهم وأراضيهم الزراعية للتدمير على يد قوات زابرجان، سواء في القرى المحيطة بالعاصمة، أو في ضواحي القسطنطينية(١٧٧) فلا شك أن خوف الفلاحين على أرزاقهم وأولادهم وممتلكاتهم، وعلى مدينتهم أيضا، كان دافعا قويا للمشاركة في صد هذا الخطر. وقد أحسن بيليزاريوس استخدامهم في المعركة، إذ رغم جهلهم بأعمال الحرب والقتال، إلا أنه استخدم طاقتهم المتدفقة في حفر الخندق حول معسكره، ثم في إشعال النيران وقطع الأشجار ليثير طبات كثيفة من الدهان والغبار تحجب رؤية الأعداء له، ثم في الجلبة والصِّياح اللذين صنعوهما. وقد أبلوا بلاء حسنًا في ما كُلفوا به وساهموا في تحقيق النصر الذي أحرزه بيليزاريوس على زابرجان. وقد اعترف بيليزاريوس نفسه بأهمية هذا الدور، على الرغم من أنهم لم يكونوا من المقاتلين، أو من علية المجتمع

(١٧٧) أشارت المصادر إلى مشركة هؤلاء الفلاحين في المقاومة، ولكنها لم تشر إلى مشاركة فئة ملاك الأرض، أو أصحاب الأراضي الزراعية المقيمين في العاصمة بينما أملاكهم في ضواحي العاصمة. وفي رأي الاستاذ الدكتور وسام عبد العزيز أن هذه الفئة من الملاك التي عاشت في العاصمة كانت صغيرة، أنظر: وسام عبد العزيز، دراسات ص١٨- ١٩. ومن ناحية أخرى؛ ربما تكون هذه الفئة قد أكتفت بما يلزمها به القانون وهو تقديم الغذاء للجيش بنسبة من أملاكهم، أو شراؤه مهما كانت أسعاره، غذا لم يكن لديهم ما يقدمونه، ونقله إلى معسكر الجند أنظر: .Capot, la Frontiere

البيزنطي. ولعل في كل ما تقدم ذكره خير دللاً يجسد معاني المقاومة الشعبية التي تخلص إليها هذه الدراسة.(١٧٨)

وعند هذه النقطة يثور التساؤل التالي: هل جهزت القسطنطينية ما يمكن تسميته نوعا من الجيش الشعبي؛ وهل تم هذا التجهيز بطريقة أرتجالية أم منتظمة. والحق أن القسطنطينية. قد شهدت فعلا هذا النوع من الجيش، وقد ذكرنا أنه حدث نوع من التعاون بين الجيش والشعب من أجل تدعيم وحدة الدولة. وهذا التعاون قد لقى عناية خاصة، نظرا لما تمثله القسطنطينية من قيمة حضارية وسياسية، ولما يُعرف عن أهل القسطنطينية أنفسهم الاهتمام الشديد بمباشرة أمورهم السياسية، حتى إن اهتمامهم بأمور السياسة اليومية كان يماثل اهتمامهم بالأحداث الرياضية الكبرى في ساحة الهيبدروم(١٧٩) وكان اهتمامهم بالقسطنطينية، وهي رمز الدولة نفسها، ويتجلى في أن خوفهم من أي غزو ضد القسطنطينية، كان أكبر من خوفهم من أي غزو ضد القسطنطينية، كان أكبر من خوفهم من أي غزو ضد سائر الأقاليم كانوا أقل خوفا من عواقب أي غزو أجنبي لأراضيهم، إذا ما قورن بخوفهم من زيارة وشكة لجباة الضرائب. وهكذا فقد كان شعب القسطنيطينية على استعداد للتضحية من أجل الحفاظ على عاصمته من أي خطر يهددها. ولا ريب أن هذا الاستعداد يحمل في طياته شعورًا وطنيًا قويًا، كان بمثابة الدافع للمشاركة في المقاومة. ولا يمكننا القول بأن الدافع الديني كان أقل أثرًا، من الدافع الوطني، فكلاهما ساهم في تأجج روح المقاومة الشعبية.(١٨٠)

---

(178)Agathias, Historiarum,p.p.319- 320; Theophanes, Chronographia,, p.365;cf. also: Bury, Hist of the L.R.E.p.306.

(١٧٩) وسام عبد العزيز، دراسات، ص٤٢.

(180) Ostrogorshy, State, p.p.50- 51; Manohlovic, le Peuple,633.

راجع أيضا: وسام عبد العزيز، دراسات، ص١٨٣.

ثم إنه على الرغم من تلاحم هذه القوى في هذه المقاومة، إلا أن الأمانة تقتضي القول بأن الجهد الفعال الذي قام به رجال بيليزاريوس، سواء من الفرسان الثلاثمائة. أو من جميع عناصر الفرسان التي ساندته، ينبئ عن أنهم كانوا قد نظموا أنفسهم من قبل حدوث غزو زابرجان، وأن هذا التنظيم كان القصد منه الاستعداد لمثل هذه الطوارئ، وأنه كان مستمدا من الهيبدروم، ومرتبطا بالديمات، بل ومستمدا من تنظيمات الفرسان التي أنشأ بعضها في الأصل من أجل هذا الهيبدروم.(١٨١)

يلاحظ أيضا من تناول المصادر البيزنطية لهذه المقاومة أنها تكرر عبارة "قام الرومان والاسكلارية ب..." أي أن هذه المصادر تميز بين الرومان وبين الاسكلارية. فالرومان يقصد به سكان القسطنطينية، أي السكان الرومان، أو الشعب الروماني، الذين شاركوا في هذه المقاومة، وكان منهم بالطبع أولئك الذين تم تسجيلهم كميلشيات في القوائم مسلحة، كما سلف القول. أما الاسكلارية، وفقًا لما ذكرنا، فقد كانت أهم فرق الحرس الامبراطوري(١٨٢)، ومن واقع التلاحم بين الرومان (سكان القسطنطينية) وبين الاسكلارية، فمن المرجح أنه كانت هناك حركة تتم بينهما وفقا لخطة تعبئة تقضي بأن يقوم سكان العاصمة بواجبهم في حالة تعرض العاصمة لغزو خارجي، وهو أن يتوجهوا لاحتلال الأسوار، بينما تساندهم وتحيط بهم كتائب من فرقة الاسكلارية. وهكذا نجد أن الفرق الرياضية، التي كانت في الوقت نفسه ديمات أو أحزابا تمثل أفراد الشعب، كانت تتحول بسرعة إلى حرس أو ميليشيات قادرة على صد الغزوات(١٨٣)، وذلك بعد أن تناسب

(181) Rambaud, Hippodromo, p.38.

(182) Malalas, Chron, p.p.489- 493; Theophanes, Chronographia,, p.p.359- 3636;Agathias, Historiaum, p.p. 300- 335.

(183)Theophanes, Chronographia,, p.p.361- 363;cf. also: Ostrogarsky, State, p.61; Manojlovic, le people, p.p.623- 62.

جموع الشعب في الحزبين قد ساهمت في إصلاح أسوار العاصمة، وفي بناء وترميم الأسوار بأموالها المخصصة للألعاب، فقد ساهمت باعتبارها ميليشيات في الدفاع عن القسطنطينية. وبعد انتهاء غزو زابرجان بالفشل، نجدها أيضا تشارك في إعادة بناء الأسوار الطويلة للعاصمة سواء بشكل مباشر عن طريق الجهد، أو غير مباشر عن طريق التبرع بالمال، علاوة على الأموال الثابتة التي كانت مخصصة للألعاب، وذلك تحت إشراف الإمبراطور جستنيان نفسه.(١٨٤)

وهكذا فقد كان تعرض القسطنطينية للخطر هو الحافز القوي لظهور التلاحم الشعبي في القسطنطينية، والطريف أنه عقب انتهاء غزو الهون بقيادة زابرجان، وبالتحديد في مايو عام ٥٥٩م، حدث أنه أثناء عودة الجماهير من الهيبدروم، حيث كان يجرى الاحتفال بعيد تأسيس مدينة القسطنطينية، نشب احتكاك بين الزرق والخضر، بدأه الزرق بمشاجرات في أماكن متفرقة، وأحرقوا بعض ممتلكات الخضر ومساكنهم، وتزايدت الاشتباكات بينهما، فشملت مناطق وتفرقة من العاصمة. واستمر هذا القتال الدامي يومين، ولم يوقفه سوى تدخل بعض فرق الحرس الإمبراطوري(١٨٥). ولعل هذه الحرب الأهلية الأخيرة التي دامت يومين تثبت أن عداوة الحزبين هي القاعدة، أما الاستثناء فهو الوفاق بينهما. فبينما سجلت المصادر التاريخية نشوب اضطرابات دامية أخرى بينهما في عام ٥٦٢م(١٨٦)، نجد أن هذه المصادر تسجل وجود تعاون ووفاق بينهما، مرتين في أثناء المشاركة في التصدي للغزو

(184)Theophanes, Chronographia, p.p. 361- 362

(185)Malalas, Chron, p.490; cf.also: Manojlovic, le Peuple, p.p.651- 654.

(186) Malalas, Chron, p.p.492- 501; Theophanes, عن هذه الاضطرابات أنظر Chronographia, p.p.417- 424.

السلافي الذي تعرضت له أسوار القسطنطينية في عامي ٥٨٣- ٥٨٤م، وفي عام ٦٠١م[١٨٧]، ولعل هذه الأحداث المتناقضة هي التي حدت بالمؤرخ إدوارد جيبون غلى القول بأنه قد صاحب ازدياد الأهمية السياسية لهذه الأحزاب، ازدياد فوضى الديمقراطية.[١٨٨] وعلى أي حال، فقد بدأ الدور السياسي والشعبي لهذه الأحزاب يتلاشى ابتداء من النصف الثاني من القرن السابع الميلادي، نظرا لضخامة الأخطار الخارجية التي بدأت تهدد حدود الإمبراطورية البيزنطية من مختلف الجهات، مما دعا إلى ضرورة البحث عن وسائل دفاعية جديدة تفي بمتطلبات المرحلة الجديدة، فاستخدمت نظام الثيمات. مثلما اقتضت الضرورة السياسية زيادة تركيز السلطة في يد الأباطرة، واقتضت الضرورة الاقتصادية زيادة تشجيع التجار والنقابات وأصحاب الملكيات الزراعية. ومن ثم فلك يعد هناك مكان لنفس الدور الذي كانت تقوم به الأحزاب؛ فتلاشي وجودها السياسي رويدًا رويدًا، وإن بقى نشاطها مقصورا على الاشتراك في المراسيم والاحتفالات الشعبية. ولم يعد التفكير في المشاركة السياسية سوى ذكرى قديمة، لم يكن من السهل استعادتها.[١٨٩]

---

(187)Theophanes, Chronographia, p.p.410- 446.

(١٨٨) جيبون، اضمحلال، ج٢، ص٤١١؛ راجع ايضا: زبيدة عطا، قسطنطينين، ص٦٠.

(189) Vryonis, Gulids, p.p.302- 305.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: قائمة المصادر والمراجع الأجنبية والمختصرات:

ا) المصادر الأجنبية والمختصرات:

Agathias, Historiarum,

Agathias Myrinaei Historiarum, Ed B.G. Niebuhr, Bonn 1828, in C.S.H.B.

Constantine Porphyr, De Cer,

Constantine porphyrogenitos, De Ceremoniis Aulae Bgzantinae ed, I. Rieskem, 2 vols, in C.S.H.B. Bonna, 1829–1830.

C.S.E.L.

Corpus Scriptorum , Eccesiasticorum Latinorum.

C.S.H.B.

Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae Bonnae.

Evagrius, History,

Evagrius Scholasticus, History of the Church, Ed and Tr, John Childs, London, 1854.

Gelasius, Epistulae,

Gelasius, Epistulae Imperatorum Pontificum aliorum A veil ana quae dicitur Collectio, Ed, Guenther, O., in (C.S.E.L.) vol xxxv, Lipsiae, 1885.

Leo VI, Tactica,

Leoni Impratoris Tactica, ed. J.P. Migne, in P.G., vol. 107, Turnholti 1978.

Malalas, Chronographia,

Ioannis Malalas Chronographia, in C.S.H.B., Ed. L. Dindorf, Bonn, 1831.

Nicephorus, Archiep,

Nicephori Archiepiscopi Constantinopolitani Opuscula Historica, ed. C. De Boor, Leizig, 1880.

P.G.

Patrologia Curus Completus. Series Graeca. Ed J.P. Migne, Paris. 1857–1866, 161 vols.

Procopius, Arcana

Procopius Caesariensis, Historia Arcana, Trans by G.A., Williamson, London 1966.

Procopius, De Bello,

Procopii Caesariensis De Bello Persico (De Bellis Libri 1-11) In : Procopii Caesariensis Opera Ommia. Ed. With English Trans by H.B. Dewing, Cambridge, Mass. 1960-1962, 7 vols.

Socrates Ecclesiastica,

Socrates Scholastici Historia Ecclesiastica, Ed Migne, in P.G., Tome 67, Cols 28-842.

Theophanes, The Chronicle,

Theophanes Abbas et Confessor, The Chronicle of Theophanes, An English Translation from 602-813 A.D. By Harry Turthedove, U.S.A., Pensylvania, 1982.

Theophanes, Chronographia,

Theophanes, Chronographia, Ed., C.De Boor, Leipzig, 1883-1885, 2 vols.

Zonaras, Epitomae,

Zonaras, Iannis, Epitomae Historiarum, in C.S.H.B., 3 vols, Ed. M. Pinder and T.H.Buttner. Wobst, Bon 1841-1897.

ب) المراجع الأجنبية والمختصرات:

- **Brehier, Les Institutions**
- Brehier, L., Les Instutions de l'رَحِمَهَاٱللَّهُEmpire Byzantin, Paris, 1943.
- **B .**
- Byzantion, Bruxelles, 1924 ff.
- **Bury, Admin, System,**
- Bury, J.B., The Imperial Administrative System in the Ninth Century, London, 1911.
- **Bury, Hist of the L,R.E,**
- Bury, J.B., History of the Later Roman Empire, from the Diath of Thedosius I to the Death of Justinian, 2 vol New York, 1958.

– **Cameron, Factions,**
– Cameron, A., Circus Factions, Blues and Greens at Rome and Byzantium, Oxford 1976.
– **Chopot, La Frontiere,**
– Chapot, V., La Frontiere de L رَحِمَهَا ٱللَّهُ Euphrate, Paris, 1907.
– **Diehl, Byzantium,**
– Diehl, C . , Byzantium, Greatness and Decline, Translated from the French by Naomi Walford, New Jerse, 1957.
– **Diehl, et Marcais, Moyen Age,**
– Diehl, Ch. et Marcais, G., Histoire du Moyen Age, paris, 1936.
– **D.O.P.,**
– Dumbarton Oaks papers, Cambridge Mass, Washington 1941 ff.
– **Enc. Br**
– The New Encyclopaedia Britannica, Chicago, 1974, 12 vols.
– **Ensslin, The Emperor,**
– Ensslin, W., The Emperor and the Imperial Administration, in "B" ed by Bayns and Moss Oxford, 1948.
– **Finlay, Greece,**
– Finlay, G., A. History of Greece, Oxford, 1877.
– **Guilland, Les Noumera,**
– Guilland, R., Etudes Sur Le Grand Palais de Constantinople, Les Noumera, R.E.B., Tome, 8, Paris 1961, pp. 401–418.
– **Guilland, Scholes,**
– Guilland, Etudes Sur *V* Histoire Administrative de Byzance, Le Do–mestique de Scholes, in R.E.B.,Tome 8, Paris, 1951, pp. 5–51.
– **Guillou, La Civilsation,**
– Guillou, A., La Civilsation Byzantine, Artheud, 1974.
– **Heath, Armies,**
– Heath, I, Byzantine Armies 886–1118 A.D., London, 1986.
– **Jones, L.R.E.**
– Jones, A.H.M., The Later Roman Empire 284–602. 3 vols, oxford, 1964.
– **Lindsay, Iurope,**

- Lindsay, J. Byzantium into Iurope, London, 1952.
- **Manojlovic, Peuple,**
- Manojlovic, G, "Le peuple de Constantinople," in "B" Tome XI, 1936, PP. 617-716.
- **Oman, Art of War,**
- Oman, Ch, A History of the Art of War in the Middle Ages, London, 1924, vol I.
- **Ostrogorsky, State,**
- Ostrogorsky, G., History of the Byzantine State, Translated by: J. Hussy, Oxford, 1956.
- **Rambaud, Hippodromo,**
- Rambaud, A., De Byzantino hippodromo et circensibus factionibus, Paris, 1870.
- **R.E.B.,**
- Revue des Etudes, Ancienne, paris.
- **Sherrard, Byz,**
- Sherrardm ph., Byzantium, Nederland, 1967.
- **Van Millingen, The Walls**
- Van Millingen, Alexander, Byzantine Constantinople, The Walls of the City and adjoining Historical Site, London, 1899.
- **Vasiliev, Byzantine Empire**
- Vasiliev, A.A., A History of the Byzantine Empire, 2 vols ,Madison andMilwauke, 1964.
- **Vasiliev, Justin,**
- Vasiliev, A.A., Justin the first, Cambridge, 1950.
- **Vryonis, Guilds,**
- Vryonis, S., Byzantine Democratia and the Guilds in the Eleventh Cen-turye D.O.P. vol. 17, 1963, P.P. 289-413.
- **Yvonne, Les Bleus et les Verts,**
- Yvonne Janssens, Les Bleus et les Verts Sous Maurice, Phocas et He-raclius, in "B" TomeXI, Bruxelles, 1963, p.p.499- 536.

ثانيًا: قائمة المصادر والمراجع العربية:

أ) المصادر العربية:

- قدامة (ت. ٢٢٥/ ٩٣٢م): أبي الفرج قدامه بين جعفر، نبذ من كتاب الخراج، ملحق مع كتاب المسالك لابن خراداذية، بغداد، د.ت.

ب) المراجع العربية المعربة:

الباز العريني، الدولة:

- السيد الباز العريني (دكتور)، الدولة البيزنطية ٣٢٣- ١٠٨١م القاهرة (دار النهضة العربية) ١٩٨٢م.

بينز، الإمبراطورية:

- نومان بينز، الإمبراطورية البيزنطية تعريب د. حسين مؤنس، محمد يوسف زايد، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٥٠م.

رأفت عبد الحميد، الثورة الشعبية:

- رأفت عبد الحميد (دكتور)الثورة الشعبية في القسطنطينية (٥٣٢م)، مستخرج من مجلة الجمعية التاريخية المصرية، العدد الثالث، القاهرة، ١٩٨٥م.

رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة:

- رأفت عبد الحميد(دكتور)، الدولة والكنيسة، ج٢، القاهرة، ١٩٨٢.

رانسيمان الحضارة:

- ستيفن رانسيمان، الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، وزكي على ، القاهرة، (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٦١م.

زبيدة عطا، المقاتل:

- زبيدة محمد عطا (دكتورة)، المقاتل البيزنطي، مقال منشور في مجلة التاريخ والمستقبل، المنيا، ١٩٩١م.

زبيدة عطا، قسطنطين:

- زبيدة محمد عطا (دكتورة)، الدولة البيزنطية من قسطنطين إلى أناستاسيوي، ط١، القاهرة، (دار الفكر العربي)، ١٩٧٧.

سعيد عطا، أوروبا:

- سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور)، أوروبا في العصور الوسطى، ج١، التاريخالسياسي، القاهرة (مكتبة الأنجلو المصرية) ١٩٦٦م.

فتحي الشاعر، السياسة الشرقية:

- محمد فتحي الشاعر (دكتور)، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي (عصر جوستنيان) القاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب)، ١٩٨٩م.

ليلى عبد الجواد، القسطنطينية:

- ليلى عبد الجواد (دكتورة)، القسطنطينية في ضوء كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين، مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد الثالث والرابع، عام ١٩٨٨م.

وسام عبد العزيز، دراسات:

- وسام عبد العزيز فرج (دكتور)، دراسات في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي في العصور الوسطى، الاسكندرية (دار المعرفة الجامعية)، ١٩٨٥م.